جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

"الأصولية النصرانية ودورها التاريخي في تشكيل العقيدة والأخلاق في الفكر الغربي المعاصر"

إعداد

د/ فهد محمد عطية الحارثي

باحث دكتوراه في كلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز،جدة.

.

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأصولية النصرانية ودورها التاريخي في تشكيل العقيدة والأخلاق في الفكر الغربي المعاصر.

فهد محمد عطية الحارثي

باحث دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Fa9890@gmail.com

الملخص:

يستقصي هذا البحث أثر الأصولية النصرانية في إعادة تشكيل الوعي الديني في الغرب الحديث، من خلال اعتماد قراءة حرفية صارمة لنصوص العهد القديم، تحوّلت بموجبها تلك النصوص من مجرّد روايات دينية إلى منطلقات عقدية تحدد المواقف وتُرسم بها السياسات. وقد أدى هذا المنهج التفسيري إلى قطيعة فكرية مع الإرث الكاثوليكي، وفتح الباب أمام تصورات لاهوتية جديدة تتجاوز الرمزية إلى تأويلات جامدة ذات بعد سياسي واستيطاني واضح، وقد أبرزت الدراسة التحول الجذري في النظرة النصرانية لليهود، إذ انتقلت من العداء التاريخي إلى الولاء المطلق، متكئة على مفاهيم توراتية مثل "شعب الله المختار" و"أرض الميعاد"، هذا التبدل لم يكن وليد المصالح السياسية فحسب، بل نابع من إيمان عقدي عميق، رسّخته الأصولية البروتستانتية في الوجدان الغربي، خاصة في الولايات المتحدة، وينقسم البحث إلى مبحثين: أحدهما يعالج أثر التفسير الحرفي في تغيير ملامح الفكر الديني، والآخر يتتبع مسار العلاقة مع اليهود، ويخلص إلى أن الأصولية النصرانية قد جعلت من النص المقدس مرجعية عابرة للدين، تؤثر في القرار السياسي، وتُضفي على الاحتلال شرعية دينية في الوعي الغربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الأصولية النصرانية، التفسير الحرفي، العهد القديم، الشعب المختار، الوعي الديني الغربي.

Christian fundamentalism and its historical role in shaping faith and ethics in contemporary Western thought.

Fahd Muhammad Attia Al-Harthi
PhD researcher, Faculty of Arts, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.
Email: Fa9890@gmail.com

Abstract:
This study explores the contributors to Christian origins in reshaping our consciousness in the modern West, relying on a professional reading of the Old Testament texts, thereby transforming them from mere religious narratives into fully recognized and formalized doctrinal foundations. This interpretive game presented an intellectual community, taking into consideration the perspective of a new theology that transcends rigid interpretations with a clear political theatrical dimension, The study highlighted the radical shift in the Christian view of Jews, moving from historical hostility to absolute loyalty, based on biblical concepts such as "God's Chosen People" and "Promised Land." This shift was not solely the product of political interests, but stemmed from a deep ideological belief, entrenched in the Western consciousness by Protestant fundamentalism, particularly in the United States, The research is divided into two sections: one addresses the impact of literal interpretation on changing the features of religious thought, and the other traces the course of the relationship with the Jews, concluding that Christian fundamentalism has made the sacred text a trans-religious reference, influencing political decisions and conferring religious legitimacy on the occupation in contemporary Western consciousness.

Keywords: Christian fundamentalism, Literal interpretation, Old Testament, Chosen people, Western religious consciousness.

مقدمة

الحمد لله الذي لَم يتخذ ولدًا، ولَم يكن له شريكٌ في المُلك، ولَم يكن له وَلِيٌّ من الذُّل وكبِّره تكبيرًا، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وبعد.

فيُعد الدين من أهم الركائز الأساسية الذي لعب دورًا رئيسًا في تشكيل أنساق الفكر البشري عبر العصور، سواء على مستوى القيم والأخلاق أو على صياغة الرؤية الكونية للوجود والغاية منه. وقد شهد الفكر الغربي في عصوره الحديثة تحولات جذرية على مستوى العقيدة والتصورات الأخلاقية، كان من أبرز دوافعها صعود التيار الأصولي النصراني، وخاصة في سياق العالم البروتستانتي. فقد أعادت هذه الأصولية، التي نشأت في رحم الإصلاح الديني، قراءة النصوص المقدسة قراءةً حرفية صارمة، جعلت من نصوص العهد القديم المرجع الأول في تشكيل المعتقدات وتوجيه السلوك، بل وفي تبرير السياسات الخارجية الكبرى.

وقد أدى هذا التفسير الحرفي إلى إحداث قطيعة معرفية وعقدية مع المنظومة الكاثوليكية التقليدية، وأعاد الاعتبار للأساطير والنبوءات التوراتية بوصفها نبراساً للواقع المعاصر ومستقبله. وكانت هذه العودة القوية للعهد القديم سبباً مباشراً في بلورة عقيدة متكاملة حول "شعب الله المختار" و"أرض الميعاد"، انعكست بشكل واضح في تبني الفكر الأصولي الغربي، خاصة الأمريكي، للرؤية الصهيونية الدينية، ودعمه المطلق للكيان الإسرائيلي بوصفه تجسيداً لنبوءات الكتاب المقدس.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أثر الأصولية النصرانية، من خلال تفسيرها الحرفي لنصوص العهد القديم، في تشكيل البنية العقدية والفكرية الغربية المعاصرة، وبيان كيف أضحى النص التوراتي مرجعية مطلقة، تجاوزت البعد الديني إلى التأثير السياسي والاجتماعي والثقافي، بل وأمست جزءاً من

العقيدة القومية في عدد من الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

كما يتناول هذا البحث أيضًا مراحل تحول العلاقة بين اليهود والنصارى، بدءًا من العداء الصريح الذي جسدته النصوص الإنجيلية بحق اليهود، ومرورًا بفترات الاضطهاد الديني والاجتماعي الذي مارسته الكنيسة ضدهم لقرون، وانتهاءً بالتحول الجذري في الموقف النصراني منهم مع ظهور البروتستانتية، حيث تغيرت الصورة النمطية لليهود من "قتلة المسيح" إلى "شعب الله المختار" الذي يجب نصرته واستعادته إلى "أرض الميعاد".

كما يسعى هذا البحث إلى تحليل هذا التحول العميق في ضوء الأدلة الدينية والنصوص التاريخية، كاشفًا عن أبعاده العقدية، وتأثيراته السياسية، وتداعياته على واقع العلاقة المعاصرة بين التيارات المسيحية واليهودية، خاصة في سياق دعم المشروع الصهيوني الحديث.

وتبرز إشكالية البحث في التساؤلات المحورية التي تبحث عن مدى تأثير الأصولية النصرانية على أسس العقيدة النصرانية وأخلاقها؟ وكيف أعادت توجيه الفكر الغربي المعاصر وسياسته؟ وكيف كان لهذا التفسير الحرفي دورٌ في توجيه الصراعات المعاصرة، وخاصة قضية فلسطين وشرعنتها دينياً؟

وتسعى هذه الدراسة للإجابة على هذه الإشكاليات، في ضوء منهج تحليلي نقدي ، يعتمد على تتبع المصادر الأساسية للأصولية النصرانية، وتحليل النصوص الكتابية المتعددة عبر المراحل التاريخية، إضافة إلى قراء الواقع السياسي عن هذا الفكر.

وقد افتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين:

المبحث الأول: التفسير الحرفي لنصوص العهد القديم وأثره في تحول الفكر النصراني.

استعرضت فيه أثر التفسير الحرفي لنصوص العهد القديم على تحويل الفكر النصراني من التصورات اللاهوتية الرمزية التقليدية إلى اعتقادات جامدة ومباشرة ذات امتدادات سياسية في دعم التوجهات الاستيطانية، وتبرير منع الاحتلال باسم النبوءات الكتابية.

المبحث الثاني: اليهود من العداء إلى النصرة والولاء.

تتبعت فيه التحولات التي قادتها الأصولية النصرانية، من العداء لقصة الترسخ مع اليهود، إلى مرحلة النصر والتأييد غير المشروط، بما في ذلك مع تفسير النصوص الدينية بشكل أكثر تكرًا وعلاقات مع اليهود على أساس عقدي قبل أن يكون سياسيًا.

ثم خاتمة رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وما اقترحته من توصيات، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المبحث الأول: التفسير الحرفي لنصوص العهد القديم وأثره في تحول الفكر النصراني:

شكلت مسألة إعادة تفسير العهد القديم بالمنهجية الحرفية انعطافاً هائلاً في مسيرة النصرانية عبر التاريخ، وأحدثت تغييرات جوهرية في صميم عقائدها وتصوراتها، وأشبهت التحولات في داخلها انقلاباً كبيرا على مفاهيم وتعاليم الكاثوليكية في مجالات مختلفة ومتنوعة.

فابتداءً من إعطاء المكانة الكبيرة للعهد القديم باعتبار نصوصه وحياً مقدساً، ثم للحفاوة التي مُنحت للغة العبرية بصفتها كلام الرب الذي خاطب به شعبه المختار، ومروراً بالمنهجية التي قررها رموز الإصلاح للتعامل مع تلك النصوص حرفياً لفهمها واعتقادها والسعي إلى تنفيذ مراد الله منها، وانتهاءً بالالتفاتة الكبرى لأسفار الرؤى والنبوءات وما تشكله من أهمية في التنبؤ بأسرار المستقبل وأحداثه، كل تلك الأمور اجتمعت لتضع ثقلها في العقل الغربي المنهك من عصوره المظلمة، والباحث عن مصادر أخرى تغير واقعه السيء، وترفع عنه مظالم الكنيسة وطغيان رجالها واستبداد أمرائها.

"لقد كان العهد القديم مهملاً قبل حركة الإصلاح الديني، حيث كان الاعتماد على العهد الجديد، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة، وكانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراستها من الهرطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية ، وبالتالي لم يكن هناك أمل في إعادة بعث اليهود أو عودتهم وتملكهم لأرض فلسطين"(١).

"لم يكن عند الكاثوليك –قبل ظهور البروتستانت وانتشار الفكر الصهيوني النصراني– اعتقاد لعودة اليهود إلى فلسطين، أو أي وجود لأمة يهودية، كما كان رجال الدين الكاثوليك يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، وبالتالي فإن كل التنبؤات

(١) الصليبيون الجدد، يوسف الطويل (٢٢).

المتعلقة بوعود الكتاب المقدس لليهود كانت تخالف ما فرضه الصهاينة النصارى بعد ظهورهم"[١].

كان رجال الدين الكاثوليك يعتقدون أن الفقرات الواردة في العهد القديم والتي تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين، وبمستقبل مؤثر لهذه الأمة في أحداث نهاية الزمان لا تنطبق على اليهود، لأنهم طبقاً للعقيدة الكاثوليكية اقترفوا إثماً، فطرهم الله من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة المسيح عليه السلام نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد، يقول بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في ١٩٧٧/٩/١٧م: (إنه يفوت بني قومي أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً: "هُوَ ذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا"[٢]، وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه ولم يبق لهم وعد الله التوراتي بالأرض المقدسة)[٣].

أما بعد الإصلاح البروتستانتي فقد تبدل الحال، إذ أعيد الاعتبار للعهد القديم وبات يمثل مرجعاً من أهم مراجعهم في العقائد والتصورات، ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية، فبه "يعرفون أخبار العالم في عصوره الأولى وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الدينية والاجتماعية وتاريخ نشأتهم، وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوءات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود"[٤].

---

(١) الصهيونية النصرانية، أ.د محمد بن عبدالعزيز العلي (١٣٦). (١٧٩).

(٢) متى (٢٣: ٣٨).

(٣) انظر: الأصولية الدينية حول العالم، شريف طلعت السعيد (٣٠٦).

(٤) الأصولية الدينية حول العالم، مرجع سابق (٣٠٢).

وبالإضافة إلى كون العهد القديم أصبح مرجعاً مهماً إن لم يكن هو الأهم على الإطلاق في الفكر الأصولي، فقد أضفيت إليه نوع من القداسة ووُصفت نصوصه –بل حتى حروفه– بالعصمة، وأنه وحي أنزله الله، وذهب بعضهم شوطاً أبعد من ذلك حين اعتبروا أن تفسيره تفسيراً حرفياً هو أيضاً يقيني معصوم، وعندما يقرؤون (طبعة سكوفيلد) للكتاب المقدس، وهي الطبعة التي تضع تفسيراته الحرفية وكأنها جزء من النص، فإن هذه التفسيرات تأخذ ما يشبه قدسية النصوص نفسها(١).

إن الإيمان بعصمة الكتاب المقدس يقتضي في الذهنية الأصولية أن كل ما ورد فيه بظاهر ألفاظه صحيح، بما في ذلك النبوءات المخبرة عن المستقبل وأنها ستقع لامحالة، وهنا مفترق الطرق بين تعامل الكنيسة الكاثوليكية التي تذهب إلى أن آيات الكتاب المقدس إما تخبر عن أحداث وقعت في الماضي أو نبوءات وردت ثم تحققت، وبين الكنيسة البروتستانتية الأصولية التي تؤمن بحملها على معانيها التي يحتملها الظاهر فقط، ثم تنزيلها على الأحداث المعاصرة والمستقبلية.

وعلى سبيل المثال فهم يعتبرون أن شعب إسرائيل الذي فاضت بأخباره الرؤى والنبوءات هم سكان الكيان الصهيوني اليوم في فلسطين، كما أنهم يعتقدون "أن العبارات التي وردت عن خراب أورشليم (القدس) تشير إلى حروب عام ١٩٦٧م أو عام ١٩٤٨م، أما الرؤية المسيحية التقليدية، فتذهب إلى أنها تحققت بالفعل عام ٧٠ميلادية على يد تيتوس"(٢).

(١) انظر: من أجل صهيون: التراث اليهودي – المسيحي في الثقافة الأمريكية : فؤاد شعبان(٢٤٠).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري (١٤١/٦).

فالتأويل البروتستانتي منذ أيام لوثر وكالفن كان قد أبدى قدراً متزايداً من النزوع إلى التخلي عن أساليب التفسير الرمزية والمجازية، من أجل تبنّي موقف حرفي، يرمي إلى الكشف عن المعنى الأصلي، العميق والبسيط للنص، كما طلب من المؤمنين أن يعودوا إلى الكتاب، وأن يفهموا النص بمعناه البسيط والواضح"[١]، وهذا بطبيعة الحال فتح الباب على مصراعيه لدخول تأويلات وتفسيرات تخالف السائد في الكنيسة الأم.

والذي يعنينا بالدرجة الأولى هنا هو تتبع الأثر العقدي للتعامل الجديد لحركة الإصلاح مع الكتاب المقدس، وتبيّن إلى أي مدى قد وصل الخلاف والاختلاف بين الكنيستين بناء على هذا المعطى الجديد من جهة قيمة العهد القديم وأهميته كتراث يهودي، ومن جهة كيفية التعامل معه ومخرجات ذلك في الواقع السياسي والاجتماعي والسلوكي.

فسماح البروتستانتية لأتباعها بقراءة وفهم الكتاب المقدس بصورة حرة دون اشتراط، على اعتبار أن كل شخص بروتستانتي قادر على فهم الكتاب المقدس بلا حاجة إلى وسيط، أوجد تشعبات وانشطارات عديدة داخل الجسد البروتستانتي باختلاف العقول والأفهام، وولّد عدداً كبيراً من الفرق والمذاهب المنبثقة عن حركة الإصلاح[٢].

كما كان للتعليم ولوسائل الإعلام الأصولية المختلفة التي تصل إلى جمهورٍ أمريكي عريض وتعتمد في خطابها على الأدب التوراتي أثر عميق، "فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودي، فلا هجرة سوى هجرة إبراهيم، ولا وجود لمملكة غير مملكة داود، ولم يعد الناس يذكرون من الثورات

(١) عودة اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي، مير فرته (٢٧).

(٢) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن (٢١).

إلا ثورة المكابين، وكان يبدو وكأن لا وجود للشعوب الكثيرة التي استوطنت وعاشت في فلسطين"[١].

كان لهذا التحول في قيمة نصوص العهد القديم في النصرانية تأثيره في بعث الاهتمام بالأحداث المستقبلية والإيمان الجازم بوقوعها بناءً على الإيمان بعصمة مصدرها وقطعية دلالتها، وفق المنهجية الحرفية لقراءة النص، وذلك تماشياً مع خطة الرب التي وضعها لها، وبدور شعب إسرائيل الهام والذي لا يمكن لغيره من شعوب الأرض أن يقوم به في تلك الأحداث.

فنصوص الأسفار المتعلقة بالنبوءات تضع لهم خارطة طريق هي من صنع الرب –كما يزعمون– وإنما يكون دورهم فيها هو مجرد التنفيذ، ولذا فهم فيما يقومون به من حروب ومذابح وابتلاع للأراضي ومصادرة للممتلكات في حق العرب والفلسطينيين في بيت المقدس وأكنافه إنما يحققون بذلك وعداً قطعه الله لشعبه المختار في عهده القديم، ومن هنا وجب إحلالهم في الأرض الموعودة مكان العرب الغرباء المعتدين على حقهم.

"هذه القراءة الأصولية للنصوص المقدسة تتحول إلى ما وصفه روجيه جارودي بقراءة أصولية للسياسة الصهيونية التي تجعل اليمينيين في أمريكا وغيرها يوافقون على قول الجنرال الإسرائيلي دايان: (إذا كنّا نملك أرض التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فيجب علينا أن نملك كل الأرض التوراتية"[٢].

وليس خافياً أن هذا الجنرال العسكري إنما ينتزع تصريحاته من نصوص العهد القديم الذي تقدسه الأصولية وتقدمه على أي مرجع آخر، وهو يدرك تماماً أن استشهاداته على أفكاره وأهدافه بنصوص التوراة كفيل بأن تُمرر إلى العقلية

(١)الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ريجينا الشريف، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (٢٧).

(٢) من أجل صهيون، مرجع سابق (٣١٨).

الأصولية دون رقابة أو مراجعة، كما أن أفعاله هو وغيره من الرؤساء والقادة العسكريين تُعدّ تنفيذاً لإرادة الرب، ومن ثَمّ لا ينبغي أن تُحاكم إلى قوانين دولية، ولا إلى أحكامٍ عُرفية ولا حتى إلى القيم الإنسانية، فحين تكون مرجعيتها النص المقدس لا يكون هناك حاجة لغيره من المرجعيات، بل حقها إن هي عارضت أن يُضرب بها عُرض الحائط.

والرب (يهوه) إذ يقرر هذا في نصوص الكتاب المقدس ويضع خطته لتنفيذه فإنما هو يفي بوعوده التي قطعها على نفسه لبني إسرائيل من إعادتهم إلى أرضهم وإقامة دولتهم، مستشهدين على ذلك الوعد بنصوص عديدة، منها النص التالي في العهد القديم: " قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَيْسَ لِأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلْ لِأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَّسْتُمُوهُ فِي الْأُمَمِ حَيْثُ جِئْتُمْ٢٣ فَأُقَدِّسُ اسْمِي الْعَظِيمَ الْمُنَجَّسَ فِي الْأُمَمِ، الَّذِي نَجَّسْتُمُوهُ فِي وَسْطِهِمْ، فَتَعْلَمُ الْأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكُمْ قُدَّامَ أَعْيُنِهِمْ٢٤ وَآخُذُكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَرَاضِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ٢٥ وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ٢٦ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ٢٧ وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا٢٨ وَتَسْكُنُونَ الْأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَكُمْ إِيَّاهَا، وَتَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا"[1].

ولم يكتف الرب بهذه الوعود الخلابة التي ينشرها على (شعبه المختار)، بل يخطط لهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، وتتسع لذراري إسرائيل، ويعيّن لهم حدوداً جغرافية لا تقبل التعديل، وليس بيد أحد حق التنازل عنها لأنها وعد من الرب

(١) حزقيال (٣٦: ٢٢-٢٨).

وليس لأحد حق التصرف أو الاعتراض، ففي العهد القديم أيضاً يقول النص: "اَلرَّبُّ إِلَهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورِيبَ قَائِلًا: كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هَذَا الْجَبَلِ، ٧ تَحَوَّلُوا وَارْتَحِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الْأَمُورِيِّينَ، وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ، أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّ وَلُبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ ٨ اُنْظُرْ قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمُ الْأَرْضَ، ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ"(١).

هذه النصوص التي اعتقدها وآمن بها الأصوليون البروتستانت كانت بوصلة العمل السياسي والعسكري للقادة الصهاينة، ومصدر إلهامهم ومنطلق كتاباتهم وتصريحاتهم فيما يخص إسرائيل، وكانت محل ترحيب وحفاوة من أنصارهم، وعلى أساسها فهم يعتقدون بطلان كل اتفاق أو معاهدة مع أي طرف تخالف وعد الله للشعب المختار في الكتاب المقدس، إلا أن تكون مرحلية ومؤقتة، وليست لها صفة الديمومة والثبات المطلق.

وذلك مبني في تصورهم على أن "القانون الذي يُطبق على اليهود هو قانون إلهي، فإذا تعارض القانون الإلهي مع القانون الدولي فإن قانون الله هو الذي يجب أن يُنفّذ، لأنه يعكس إرادة الله ومشيئته، فأعمالهم هي بمثابة وحي من الله لابد من تقبّله واحترامه"(٢).

كان العهد في العقيدة الأصولية هو العهد المقطوع بين الإله وجماعة بني إسرائيل، والذي يقضي بوجود علاقة خاصة بين إله إسرائيل وبني إسرائيل، وفيه

(١) التثنية (١: ٦-٨).

(٢) الأطماع الصليبية والصهيونية ، شاهر قنيبي (١٢١).

عهد بالأرض التي سميت بأرض العهد، أو بأرض الميعاد، وتم تحديدها سياسياً بحسب التحديد التوراتي، وهي الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات[١].

وفي هذا المعنى "كتب ريغان [٢] في كتابه (الثورة) يقول: منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد: فلسطين، وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي، وجنوب غربي سورية، إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها، وإلى الأبد"[٣].

وفي خطاب ألقاه بن غوريون[٤] –وكان وزيراً للدفاع– بمناسبة إعلان قيام الدولة اليهودية على القسم الذي تمت سيطرة اليهود عليه من أرض فلسطين عام ١٩٤٨م ، قال : "أما السيف الذي أعدناه إلى غمده، فإنه لم يعد إلا مؤقتاً، إننا سنستلُّه حين تتهدد حريتنا في وطننا، وحينما تتهدد رؤى أنبياء التوراة، فالشعب اليهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات"[٥].

---

(١) انظر: الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، محمد خليفة حسن (١٣٩).

(٢) رونالد ويلسون ريغان شغل منصب الرئيس الأربعين للولايات المتحدة في الفترة من ١٩٨١ إلى ١٩٨٩

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني (٣٠).

(٤) بن غوريون: دافيد بن غوريون (بالعبرية: דוד בן גוריון)؛ (١٦ أكتوبر ١٨٨٦ – ديسمبر ١٩٧٣)، أوّل رئيس وزراء لإسرائيل.

(٥) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، مرجع سابق (٣١).

هذا الخطاب المشحون بالعقائد التوراتية تردد كثيراً على ألسنة قادة العمل الأصولي النصراني سواء كان ذلك في الميدان السياسي أو الاجتماعي أو العسكري، وسواء كان في تصريحاتهم الشخصية أو عبر بيانات صدرت من مؤتمرات وتجمعات نخبوية، ورأوا في منطلقاته التوراتية قوة على التأثير على الأتباع لا تُضاهى، فهذا الأصولي ذو التأثير والحضور الهائل في الساحة الأمريكية وليام بلاكستون الذي يُعد بطل صهيون البارز، كتب يقول: "إن النبوءة التوراتية هي أكثر إيفاءً من تلك الصهيونية الحالية"(١).

ويقول الأصولي الإنجيلي مايك ايفنز عن دور الكتاب المقدس وبالأخص منه العهد القديم في تثبيت حق الشعب المختار في عاصمته القدس: "إن الله أعلن القدس عاصمة في أيام الملك داود، عندما طلب من سليمان أن يبني المعبد هناك...، لقد وُعدت إسرائيل بهذه العاصمة في الكتاب المقدس"(٢).

ويقول التلفزيوني الإنجيلي بات روبرتسون: (إن الكتاب المقدس يحتوي على إشارات محددة حول أحداث العالم المقبلة، إنه يتضمن نبوءات تهز الدنيا، فمعركة هرمجدون في موقعها، ويمكن أن تقع في أي وقت لتحقيق نبوءة حزقيال، إنها على استعداد لأن تحدث، فالولايات المتحدة تقع في هذا المقطع من نبوءة حزقيال، ونحن نقف على استعداد)(٣).

ويقول الأصولي المتطرف جيري فالويل: (إنّ من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم، إن

(١) انظر: البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني د يوسف الحسن (٤٢).

(٢) النبوة والسياسة، غريس هالسل، ترجمة : محمد السماك (١٥٠).

(٣) يد الله، لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل ؟ غريس هالسل، ترجمة محمد السماك (١٣).

إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨م لهو في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد)[١].

بل إن وعد بلفور نفسه الذي مهد لقيام دولة إسرائيل –بحسب رأي مؤرخين يهود– لم يكن إلا ثمرة لإيمان إنجلترا نفسها بالتراث التوراتي، "فالمؤرخة اليهودية (تشمان) تؤكد أنه من دون هذا التراث التوراتي، فإنه كان من المشكوك فيه صدور وعد بلفور باسم الحكومة الإنجليزية عام ١٩١٧م، أو انتدابها على فلسطين، رغم وجود العوامل الاستراتيجية التي برزت على المسرح فيما بعد"[٢].

وفي السياق نفسه نجد أن ابن غوريون يرى أن الكتاب المقدس وخصوصاً منه العهد القديم تعطي الأحقية الثابتة لملكية اليهود لفلسطين ويقول: "إنه صك اليهود المقدس لملكية فلسطين، الذي يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠عام"[٣].

"ولعل التعبير الديني الأبرز لأهمية العهد القديم في الثقافة الأمريكية يتجلى في صعود موجة الاعتقاد بقرب حلول الألفية السعيدة، وهو تأويل لنبوءات الكتاب المقدس، يعطي وزناً خاصاً لمفاهيم العهد القديم، ويسند دوراً حاسماً لتجميع اليهود في الدولة المستعادة التي عاصمتها القدس في مستقبل الأيام"[٤].

فقد اعتبرت الأصولية النصرانية الصهيونية "أن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م تأكيد لنبوءات التوراة حول نهاية العالم، وإحلال مملكة جديدة مع المجيء الثاني للمسيح بعد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، وانتظرت اكتمال خطة الرب بعد

---

(١)الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية حرب على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب ، يوسف العاصي الطويل(٢٠٤).

(٢) البعد الديني للسياسة الأمريكية، مرجع سابق (٢٢).

(٣)الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ريجينا الشريف، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (٢٦).

(٤) الأصولية المسيحية في العالم، بادية حيدر (١٠٢).

تأسيس إسرائيل، وبالتالي كان انتصار إسرائيل في حرب يونيو سنة ١٩٦٧م، واحتلالها لبقية أرض فلسطين وبخاصة القدس تأكيداً على أن خطة الرب تكتمل، وأن النبوءات التوراتية تتحقق، وأن نهاية التاريخ أصبحت قريبة.

وقد عبّرت عن ذلك مجلة (المسيحية اليوم) في ٢١من يوليو سنة ١٩٦٧م بقولها (ولأول مرة منذ أكثر من ألفي عام فإن القدس الآن كاملة بأيدي اليهود، مما يُعطي لدارس التوراة إيماناً عميقاً ومتجدداً في صحتها وصلاحيتها)[١].

وهكذا فإن التراث اليهودي للمسيحية الأمريكية جعل الكثيرين من الأمريكيين يشعرون بأن إنشاء دولة إسرائيل جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دوراً مركزياً في مخطط السماء والأرض، وأن انتصار إسرائيل العسكري في حرب ١٩٦٧م واحتلال القدس تأكيد للنبوءات التوراتية، والخطوة قبل الأخيرة للمجيء الثاني للمسيح.

وقد ألقت هذه العقائد ذات الديباجة التوراتية بظلالها حتى على القادة السياسيين الأمريكيين، وبلغت سطوة الإيمان بنصوص نبوءاتها أن صرح بعض رؤسائهم بتأثيرها على اعتقاداته وسياساته.

"ففي شهر مارس من العام ١٩٧٩م تحدث الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي، وقال: (جسّد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان، بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه وفي أخلاقه ودينه ومعتقداته، لقد أقام كل من إسرائيل والولايات المتحدة مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة)"[٢].

(١) المسيح اليهودي و نهاية العالم رضا هلال (٨٣).

(٢) الصهيونية المسيحية، محمد السماك (٧٣).

"وكان كارتر يرى أن دولة إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء عودة إلى الأرض التوراتية التي أُخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وإن إنشاءها هو إنجازٌ للنبوءة التوراتية وجوهر لها"(١).

وفي لقاء للرئيس الأمريكي رونالد ريغان مع صحيفة الواشنطن بوست في ١٩٨٤/٩/٢٧م، قال الرئيس لمحاوره: "حينما أتطلع إلى نبوءات اليهود القديمة في العهد القديم، وإلى العلاقات المرتبطة بمعركة هرمجدون، أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً، ولا أدري إن كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات، لكن صدقني، إنها قطعاً تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه"(٢).

"يقول الأمريكي (أندرولانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية، ومقيم بواشنطن: (لقد أجريت دراسة عميقة عن الرئيس ريغان والاعتقاد بمجيدو، ووجدت أنه قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وأن لدى ريغان اعتقاد بهذا اليوم إلى وقت قريب من توليه الرئاسة)"(٣).

وبالمثل كان تأثير العهد القديم طاغياً على النخب السياسية في أمريكا في أعلى مستويات صنع القرار السياسي والمتمثل في مجلسي الكونجرس والنواب، ففي تصويت أجري على وعد بلفور سنة ١٩١٨م خرجت النتائج بموافقة جميع الأعضاء بلا خلاف بين الجمهوريين والديمقراطيين، "وكانت إجابتهم صهيونية

(١) أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل، محمد الدواليبي (٢٣).

(٢) صحيفة الواشنطن بوست، ٢١ أكتوبر ١٩٨٤، نقلاً عن: جذور الانحياز، مرجع سابق (٥٦).

(٣) الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، مرجع سابق (٢١٢).

في أسلوبها ومضمونها، وقد استشهد كثير منهم بالعهد القديم العبراني، واقتبسوا نبوءات توراتية ليظهروا أن اليهود سيصبحون الشعب الحاكم في فلسطين "[١].

كما أن نبوءات الكتاب المقدس كانت حاضرةً في البيانات التي تصدر عن التجمعات الأصولية النخبوية، ففي المؤتمر الدولي للقيادات النصرانية الصهيونية الذي عقد في أغسطس سنة ١٩٨٥م في بال بسويسرا تهنئةً ودعماً لإقامة دولة إسرائيل، وحضره ما يزيد عن (٥٨٩) شخصية، قَدِموا من (٢٧)دولة، صدر في ختامه بيانهم الذي ورد فيه: (نهنئ دولة إسرائيل ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة، ونحضكم على أن تكونوا أقوياء في الله، وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض، وجمعتكم من منفاكم طِبقاً للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة)[٢].

وكان من تجليات العهد القديم على الفكر الأصولي استخدام التعبيرات التوراتية في وسائل الإعلام الموالية لخطابه بكثافة، لوصف الأحداث التي صاحبت وأعقبت قيام دولة إسرائيل في فلسطين، "فمثلاً تصدرت تلك الوسائل عناوين مثل: (وانتصروا في اليوم السابع)، (اضرب ياصهيون)، (حرب إسرائيل المقدسة)، (عملية السيف البتار)، (داود وجوليات)"[٣].

وهكذا أصبحت نبوءات التوراة وأساطيرها جزءاً أساسياً من ثقافة وضمير الأصولية النصرانية، بما فيها عقيدة المجيء الثاني للمسيح المرتبطة بعودة اليهود باعتبارهم شعب الله المختار، وأمته المفضلة والمختارة إلى أرض نسل إبراهيم التي وعدهم بها الرب في العهد القديم، ومن ثم فإن عودتهم هي تحقيق

(١) الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (١٥١).
(٢) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، مرجع سابق (١٥١).
(٣) الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، مرجع سابق (٢٠٦).

لوعد الله لهم، فضلاً عن أنها تشكل الأساس في عودة المسيح للظهور ليحكم ألف عام[١].

وقبل ذلك، فإن الدعم اللامحدود الذي تقدمه الأصولية النصرانية للكيان الصهيوني في فلسطين نابع في أساسه من إيمانهم بالكتاب المقدس وبعقيدة البركة التي يدينون بأن الرب وعدهم بها في نصوصه إن هم فعلوا ذلك، وقد تكرر تأكيد هذا الأمر كثيراً على ألسنة القادة الأصوليين ووعاظهم في الكنائس المبنية والمرئية، بل وفوق أعلى المنابر السياسية في بلدهم.

منها ما نقله النائب السابق بول فندلي في كتابه: (رجال تحدوا الصمت) عن السناتور روجر جيسون في عام ١٩٨١م وهو يتحدث في مؤتمر صهيوني ويفاخر بدعم بلاده لليهود وبحلول البركة عليهم مقابل هذا الدعم، قال فيه: "لأننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض"[٢].

وفي السادس من فبراير ١٩٨٣م، وبعد أن شنّت إسرائيل حربها على لبنان وتدفقت عليها المساعدات الأمريكية بكل أنواعها صرح فولويل لصحيفة كوريو تايمز –تلغرام في تكساس بعد أن حثّ إسرائيل أن تصادر أجزاءً من العراق وسوريا وتركيا والمملكة العربية السعودية ومصر والسودان، وكل لبنان والأردن والكويت، وقال: "لقد بارك الله أمريكا لأننا تعاونا مع الله في حماية إسرائيل التي هي عزيزة عليه"[٣].

(١) انظر: الأصولية السياسية الإنجيلية، كريمة بلخضر (١٣٧).
(٢) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، مرجع سابق (٧٧).
(٣) انظر: النبوة والسياسة، مرجع سابق (١١٠).

"ويقول السيناتور روجر و. جبسن سيناتور إيدوا: أعتقد أن أسباب البركة في أمريكا عبر السنين أنا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض"(١).

وقد استمرت تلك القناعات لدى النخبة الأصولية السياسية، وكان أقربها عهداً تصريح رئيس مجلس النواب الأمريكي مايك جونسون في أكتوبر سنة ٢٠٢٣م إذ يقول: "بصفتي مسيحياً أؤمن بأن الكتاب المقدس يُوجهنا بوضوح إلى أننا يجب أن نساند إسرائيل، ويخبرنا أن الله يبارك الأمة التي تساند إسرائيل"(٢).

هذا القائد السياسي وغيره من رجال الكنائس وصناع الخطاب الأصولي، ممن يلفّهم هذا الاعتقاد يعتمدون على النصوص التي يؤمنون بعصمتها وحرفيتها في الكتاب المقدس، مثل: "وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ ٢فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً ٣ وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلَاعِنَكَ أَلْعَنُهُ"(٣)

ومثل النص القائل: "الرَّبُّ قَدْ ذَكَرَنَا فَيُبَارِكُ، يُبَارِكُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يُبَارِكُ بَيْتَ هَارُونَ ١٣يُبَارِكُ مُتَّقِي الرَّبِّ، الصِّغَارَ مَعَ الْكِبَارِ، ١٤لِيَزِدِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ، عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَبْنَائِكُمْ ١٥أَنْتُمْ مُبَارَكُونَ لِلرَّبِّ الصَّانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"(٤)، وغيرها من النصوص.

وكتطبيق عملي لهذا المنطلق فقد سعى قادة الأصولية النصرانية لاستغلال قيمة العهد القديم وما تضمنه من قصص وأخبار لاستمالة رجال السياسة من أجل

(١) أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل، مرجع سابق (٢٤).

(٢) رابط التصريح على موقع اليوتيوب : https://youtu.be/oPUziAXyq5U

(٣) التكوين (١٢: ٢-٣).

(٤) المزامير (١١٥: ١٢-١٥).

خدمة المشروع الصهيوني وإعادة اليهود إلى فلسطين، بدعوى أن في إعانتهم على العودة إلى أرضهم فتحٌ لأبواب الخير والبركات على الشخص نفسه وعلى محيطه وأمته.

ففي حادثة محاولة القس الإنجيلي وليام بلاكستون التأثير على الرئيس الأمريكي هاريسون، استعار صورة من الصور التوراتية التي تحدث عنها سفر إشعيا، وهي صورة الإمبراطور الفارسي قورش، الذي سمح بعودة بني إسرائيل من السبي البابلي إلى بلادهم بعد مئات السنين، يقول النص: "هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لِأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ، لِأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالْأَبْوَابُ لَا تُغْلَقُ: ٢أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ، أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ ٣وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلَهُ إِسْرَائِيلَ"(١).

وكما هو واضح من استعارة هذا النص أراد بلاكستون "الربط بين البركات التي تمتع بها قورش، والتي يمكن أن تصيب أمريكا من خلال عمل الرب يهوه على الأرض، بإنشاء دولة إسرائيل وتأمين بقائها، وهو ما سيرتبط في الذهنية الأمريكية لاحقاً بأسباب البركة والوفرة والثروة والقوة والمنعة لأرض الميعاد الجديد، وبخاصة أنه طوال ٢٤قرناً لم تتمكن أمة من عون إسرائيل في العودة إلى أرضها، فَلِم لا تغتنم أمريكا الفرصة لتحقيق مرامي الله فيما يتعلق بشعبه المختار"(٢).

هذا الاستغلال لثقل السردية القصصية المقدسة وأبطالها من الشعب المختار في الذهنية البروتستانتية الأصولية يذكرنا بحادثة سابقة مماثلة، ففي عام ١٦٤٩م أرسل اثنين من البيورتانيين الإنجليز وهما: جوانا وأيبنزر كارترايت، أرسلا رسالة

(١) إشعيا (٤٥: ١-٣).

(٢) ذئاب في ثياب حملان مختصر قصة الأصولية الأمريكية، اميل امين (١٢٤).

استرحام للحكومة الإنجليزية لغرض نقل الإسرائيليين إلى أرض آبائهم وأجدادهم في فلسطين –على حد زعمهم–، واستعملا فيها النص التالي: (ليكن شعب إنجلترا، وسكان الأراضي المنخفضة، أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وُعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لتكون إرثهم الأبدي)[١].

ولم يتوقف استثمار الأصولية النصرانية لأدبيات الكتاب المقدس ومصطلحاته التوراتية، ودافعيته العاطفية لدى الأتباع في تحقيق المكاسب السياسية للصهيونية حتى يومنا هذا، ففي يناير من العام ٢٠٢٥م جاءت مبادرة النائبة في الحزب الجمهوري كلوديا تيني، لإنشاء (مجموعة أصدقاء يهودا والسامرة)، وهي منظمة تحظى بتأييد (٢٠) عضواً في الكونجرس الأمريكي، ومقربين من الإدارة الجديدة في البيت الأبيض بزعامة ترامب، يكون دورها تكثيف الضغوطات على الكونجرس من أجل الدفع إلى إفراغ الضفة الغربية في فلسطين من أهلها الفلسطينيين واستبدالهم بمستوطنين يهود.

وجاء في كلمة متلفزة لأحد أعضائها وهو النائب في الحزب الجمهوري وعضو مجلس النواب الأمريكي راندي ويبر العبارات التالية: "نريد أن نؤكد على أن يهودا التوراتية والسامرة التوراتية تبقى تماماً تحت سيطرة الإسرائيليين والشعب اليهودي، إنها أرضهم التي منحهم الله"[٢].

وكامتداد لتأثير العهد القديم على العقلية الأصولية، تقمص بعض الأصوليون أخلاق العنف التوراتي الكبير في التعامل مع المخالف، فكتاب التوراة الذي يمثل العهد القديم عند النصارى عموماً، ويحظى بالمنزلة والمكانة الكبيرة لدى البروتستانت، "يبدو مليئاً بالتحريض على العدوان والعنف، والاحتلال

(١) الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٤١).

(٢) انظر: تقرير نشرته قناة الجزيرة على حسابها في الواتس أب بتاريخ ٢٠٢٥/١/٢٥م، بعنوان: مجموعة أصدقاء يهودا والسامرة، لوبي في الكونجرس لتهويد الضفة الغربية.

والتوسع، والاستيلاء على أرض الغير بدون وجه حق، ولهذا يبدو شعب إسرائيل شعباً مهاجماً ومعتدياً دائماً، وما فتئ منذ وجوده يقاتل كل الشعوب التي يرى أنها تقف حائلاً دون أطماعه السياسية، التي يبررها بوعد الرب له بأرض الميعاد، من نهر مصر إلى نهر الفرات"(١).

يؤكد القس ما يكل بريور على أنه يتعين "على المرء أن يعترف بأن أجزاء كثيرة من التوراة، ومن سفر التثنية على نحو خاص، تحتوي على عقائد مفزعة، ونزعات عنصرية، وكراهية للغرباء، وتشجيع على استخدام القوة العسكرية، وأن بعض الروايات في العهد القديم أسهمت في معاناة أعداد لا تُحصى"(٢).

وكأمثلة على نصوص الكتاب المقدس المشتملة على العنف والتحريض على كل من يخالف العقائد والأفكار الصهيونية، ويحول دون غاياتهم وأهدافهم بأي وسيلة، وذلك كله باسم الرب الذي اختار شعبه، وأذن لهم بإبادة الشعوب وتحطيمها، وطرد من تبقّى منهم أحياءً عن ديارهم، نجد النص التالي من العهد القديم: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، ٢وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ، لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، ٣ وَلَا تُصَاهِرْهُمْ"(٣).

وفي نص آخر: "وَلَكِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ يَطْرُدُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلًا قَلِيلًا، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلَّا تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ ٢٣وَيَدْفَعُهُمُ

(١) التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم، ياسين سويد (١٤٧).
(٢) الكتاب المقدس والاستعمار، ما يكل بريور (١٠).
(٣) التثنية (٧: ١-٣).

الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا ٢٤وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ، لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ"(١).

وفي سفر آخر من أسفار العهد القديم: "هُوَذَا يَوْمُ الرَّبِّ قَادِمٌ، قَاسِيًا بِسَخَطٍ وَحُمُوِّ غَضَبٍ، لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا وَيُبِيدَ مِنْهَا خُطَاتَهَا... لِذَلِكَ أُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ، وَتَتَزَعْزَعُ الْأَرْضُ مِنْ مَكَانِهَا فِي سَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ وَفِي يَوْمِ حُمُوِّ غَضَبِهِ، ١٤وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ طَرِيدٍ، وَكَغَنَمٍ بِلَا مَنْ يَجْمَعُهَا، يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ، وَيَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى أَرْضِهِ ١٥كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ ١٦وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ"(٢).

لم تكن تلك النصوص وأمثالها حبيسة الأوراق وأرفف المكتبات، بل سرت إلى العقل الأصولي الذي يعظمها ويعتقد عصمتها ابتداءً فأسرته، وطوعته في خدمتها وفق الفهم الظاهر لحروفها، ثم ظهرت آثارها بعد ذلك على الألسن والأفعال فحركتها باتجاه أجنداتها وغاياتها دون اعتبار للعاطفة أو الجوانب الإنسانية.

فالتعامل مع غير الشعب المختار بعنف وبطش، والتحضير للحرب المدمرة التي يستلها قادة الرأي والتوجيه في المجتمعات الأصولية من نصوص الرؤى والنبوءات في الكتاب المقدس تصبغ خطاباتهم بشدتها وقسوتها، وفي هذا يقول جيري فالويل وهو يستقرئ تفاصيل مستقبل الصراع النبوئي: "سوف يتحرك السوفيات إلى الشرق الأوسط، لأنهم يكرهون اليهود، وفي هذا الوقت حينا تُفتح أبواب الجحيم، ستقع إبادة جماعية على الأرض، وسيجري الدم في الشوارع"(٣).

(١) المصدر السابق (٧: ٢٢-٢٤).

(٢) إشعيا (٧: ١٣-١٦).

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكي، مرجع سابق (١٦٨).

وكمثال على تأثير سرديات العنف في العهد العديم على أتباع الطائفة الأصولية، تروي لنا الإنجيلية جريس هالسل ما دار بينها وبين أحد الشخصيات التي التقتها في إحدى رحلاتها إلى فلسطين، ممن خضعوا لمواعظ الكتاب المقدس وقصصه الممتلئة بالشراسة والعدوانية مع المخالف، وحاولوا تنزيل تلك النصوص بحمولتها العنيفة والقاسية على أعداء إسرائيل اليوم، تقول هالسل:

"إن (مارفين) كغيره من اليمين المسيحي الجديد، يشعر بالنشوة لأنه حليفٌ للرابح، إنه يتماثل مع مقاتلي العهد القديم الذين ذبحوا جميع أعدائهم بسيوف حادة ومن دون شفقة، ويحب النصوص التوراتية التي تنقل عن الله اختياره أقصى درجات العنف كسياسة إلهية، وقد نقل إليّ مرة المقطع (١١٠) الذي يتحدث عن (يهوه) وهو يسحق الرؤوس، ويملأ الأرض بجثث غير المؤمنين، والمقطع (١٣٧) الذي يعرب عن الرغبة في الانتقام بالقبض على الأطفال البابليين، وإلقائهم فوق الصخور، وقال: هكذا يجب على الإسرائيليين أن يعاملوا العرب"[١].

"وفي عام ١٩٨٢م عندما شنّت دولة العدو الإسرائيلي عدوانها على لبنان، وارتكبت العديد من المذابح، ودبرت العديد من المجازر، وقتلت الآمنين وروّعتهم وشّدت الكثيرين منهم، وقف قس بروتستانتي في الولايات المتحدة ليقول وهو يرد على أسئلة المشاهدين للبث التلفزيوني الذي تديره وتشرف عليه كنيسته: (إن التوراة قد تنبأت بذلك، وعلى كل مؤمن بالعهد القديم أن يتجنّب التفكير في الدماء على حساب عقيدته في صدق العهد القديم"[٢].

(١) النبوة والسياسة، مرجع سابق (١٣٤).

(٢) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، مرجع سابق (١٣٧).

وهكذا كان للإيمان بعصمة الكتاب المقدس وخصوصاً عهده القديم والمناداة بالتفسير الحرفي دور واضح في تسرب كثير من العقائد اليهودية إلى النصرانية الجديدة (البروتستانتية)، حتى ساد عند طوائف منهم أن اليهود أمة مفضلة وهم شعب الله المختار الذي أخبرت عنه النصوص المقدسة، وأن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط شعبه المختار بالأرض الموعودة(فلسطين)، ولذا فإن على النصارى واجب إعانتهم في إقامة دولتهم، ومدهم بالمال والسلاح، إذ أن هذا الأمر هو السبيل الوحيد لتهيئة الظروف لمجيئ المسيح الثاني وإقامة الألفية السعيدة، أيّاً كانت الوسائل والذرائع.

كما كان لهذا الإيمان والقدسية للعهد القديم عند النصارى البروتستانت تأثير واضح على توجيه سياسات بلدانهم وفق الأهداف الصهيونية، والدفع بثقلهم السياسي والاقتصادي ليكون مطيّة للغايات الأصولية المحكومة بنبوءات الكتاب المقدس.

المبحث الثاني: اليهود من العداء إلى النصرة والولاء

اتسمت العلاقة بين اليهود والنصارى بتقلبات حادة عبر التاريخ،"فإنجيل النصارى أو ما يسمونه العهد الجديد يُحمِّل اليهود مسؤولية صلب يسوع"(١)، إذ ورد في إنجيل متى النص التالي: "فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا، ٢٦حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ"(٢)، وفي لوقا يقول النص: " فَكَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ ٢٤فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ ٢٥فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لِأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ"(٣).

كما نجد التصريح بنسبة القتل والصلب إلى بني إسرائيل حصراً في عدد من النصوص، فعلى لسان أشهر رسل المسيح وهو بطرس، يقول وهو يخاطب قومه من اليهود ممن كفروا بعيسى: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ ٢٣هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ، وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ"(٤).

وهكذا تظافرت النصوص عند النصارى على إدانتهم في السعي إلى قتله وصلبه، تقول الكاتبة بشرى ميخائيل وهي تتحدث عن عناية الأناجيل بهذه الحادثة: "وقد سجلت الأناجيل هذا الحدث في ملحمة تثير الشجن والأسى، وتبعث الحنق والمقت لأولئك الذين فعلوا هذه الفعلة النكراء، فجاءت بتصوير

(١) اليهودية القديمة، عماد دبور (٣٥٦).
(٢) متى (٢٧: ٢٥).
(٣) لوقا (٢٣: ٢٣-٢٥).
(٤) أعمال الرسل (٢: ٢٢-٢٣).

دقيق مفصل لكل حركة أو همسة أو خلجة لتلك المأساة، إذ لم يترك التلاميذ الذين كتبوا الأناجيل أية خطوة من خطوات المسيح وهو يُساق إلى ساحة الصلب إلا سجلوها، وسجلوا ما تلبس بها من دقيق وجليل"(١).

ولم يسدل اليهود الستار عن مشهد حربهم على المسيحية بخروج المسيح من المشهد، بل امتد عداؤهم بعده لكل ما ينتسب إلى هذه الدعوة الجديدة من تلاميذ وأتباع، وذلك بمواجهتهم بالأذى والعذاب وربما القتل أو بتحريض أباطرة الرومان وأمرائهم عليهم، وهي حرب نقلتها أيضاً نصوصهم المقدسة، ومن أمثلتها قصة رجمهم لأحد تلاميذ الرسل، يقول النص: "فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ٥٨ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ"(٢).

وفي مثال آخر يوضح تواطأهم مع سلطة الرومان لسجن أتباع المسيح أو قتلهم في بواكير دعوتهم، يقول النص: "وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيئَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ، ٢فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ ٣وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ، عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضًا، وَكَانَتْ أَيَّامُ الْفَطِيرِ ٤وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ، مُسَلِّمًا إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرَابِعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ، نَاوِيًا أَنْ يُقَدِّمَهُ بَعْدَ الْفِصْحِ إِلَى الشَّعْبِ"(٣).

وهكذا امتدت حربهم على الأتباع والتلاميذ، ورأوا أنهم يشكلون فرقة ضالة منشقة ومنحرفة عن تعاليمهم، "وانتهزوا كل فرصة واتتهم لذبحهم، وتعاونوا مع الرومان والفرس والبيزنطيين في ذلك، وعرضوهم إلى نكباتٍ وأهوال"(٤)، "وقد

(١) المسيحية وإسرائيل، بشرى زخاري ميخائيل (١٥).
(٢) أعمال الرسل (٧: ٥٧–٥٨).
(٣) المصدر السابق (١٢: ١–٤).
(٤) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، أحمد محمد زايد (١٢٣).

سقط معظم تلاميذ المسيح عليه السلام شهداء، إما صلباً أو قتلاً على أيدي السلطات، وفقاً للملاحقات والوشايات اليهودية"[١].

وبعد أن تمكنت النصرانية الظافرة من الإمبراطورية الرومانية في مجمع نيقية في أوائل القرن الرابع للميلاد، ورجحت كفة النصرانية الوثنية على يد الإمبراطور قسطنطين الذي تحول إليها في سنيّه الأخيرة، كانت نفوس النصارى عموماً متشبعة بكراهية اليهود كراهية شديدة، فهم عندهم متهمون بتدبير اتهام السيد المسيح ومحاكمته وصلبه، ومعنى هذا أنهم قَتَلة الإله، كما أنهم كانوا سبباً لشقائهم والتضييق عليهم طيلة ثلاثة قرون مضت بعد المسيح.

ثم بعد أن تنصّرت روما وانسلخت عن ديانتها القديمة، وأعلن الإمبراطور ثيودوسيوس الأكبر (٣٧٩-٣٩٥م) عن جعل المسيحية الدين الرسمي للإمبراطور توالت على اليهود الاتهامات، وتتابعت فتاوى كبار رجال الدين النصراني بمنع بناء المعابد اليهودية، وأنها ليست إلا أعشاش لحركات مناوئة للمسيحية، ومراكز للشر، ومقرات للشياطين، وأنه لا ينفع مع اليهود دعوتهم للدخول في المسيحية، بل الذي يحسن فعله بهم هو القتل الجماعي، ثم في أوائل القرن الخامس تكللت كراهية الإمبراطورية النصرانية بشقيها السياسية واللاهوتية بسحب الاعتراف عن الديانة اليهودية واعتبارها ديانة غير مشروعة[٢]، "وأصبح اعتناقها جريمة يعاقب عليها القانون"[٣].

كان بعض المؤرخين النصارى وهم يسردون أحداثاً بعد المسيح وقعت لليهود من أمم أخرى بمن فيهم أباطرة الرومان، كانوا يصفون تلك الأحداث

(١) المسألة اليهودية قصة الصراع اليهودي المسيحي، غسان سميح الزين (١٧٥).

(٢) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية و اصول عقائدها ،عرفان عبد الحميد فتاح (٥٧).

(٣)المسيح اليهودى ونهاية العالم: المسيحية السياسية والاصولية فى امريكا، رضا هلال (٢٧).

بالمصائب، وينسبون أسبابها إلى عقوبة الرب جزاء وقاحتهم في تعاملهم مع المسيح، مستشهدين على حصول تلك الأحداث بكتابات مؤرخين يهود، عاصروا تلك الفترة، من أمثال المؤرخ يوسيفوس.

فيزعمون أن مصائب الأمة اليهودية إنما بدأت في عهد بيلاطس، وذلك عقب جرائمهم الجريئة ضد المخلص، وأنه لم يمض عليهم وقت طويل حتى نزل بهم القصاص، وكان الانتقام الإلهي قد حلّ بهم بسبب الجرائم التي تجاسروا على ارتكابها ضد المسيح(١).

كانت الكاثوليكية وهي أكثر الطوائف النصرانية عدداً وأعظمها تأثيراً وأقدمها وجوداً "تنظر إلى اليهود على أنهم حملةٌ لدم المسيح عيسى بعدما صلبوه، وكان بعض المسيحيين في أوروبا يحتفلون بإحياء طقوس عملية الصلب، وكان سكان مدينة تولوز الفرنسية يحرصون على إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الاحتفال، ليتم صفعه من قبل أحد النبلاء بشكل علني، إحياءً لطقوس الضرب الذي تعرض لها المسيح على يد اليهود"(٢).

لم تكن حرب النصارى على اليهود والتسلط عليهم بأنواع الأذى طيلة قرون متطاولة من قبيل ردود الأفعال الشعبية الحماسية التي لا تلبث أن تهدأ وتضعف، أو يتدخل كبار القوم لنزع فتيلها وإخماد أوارها، بل كان يقودها كبار رجال الدين النصارى، تدفعهم إليها نصوص العهد الجديد، وتحرك قلوبهم تجاه الثأر والانتقام، وتبعث كوامن الحقد على القوم الذي تسببوا في صلب المسيح، وألحقوا به صنوف العذاب والهوان حتى آخر ساعاته، وفق عقيدتهم.

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري (٦٠-٦١).

(٢) الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلفور، فهد حجازي (٢٠٨).

فخلال الثلاثمائة سنة الأولى من العصر المسيحي كانت معاداة اليهود ظاهرة بدرجة كبيرة، وكان من قادة الكنيسة الأوائل الذين عبّروا عن هذا الموقف:

١-جوستين مارتير، فقد وافق على تدمير إسرائيل، واعتبر أنهم يستحقون ما لاقوه من معاناة، واستند إلى نصوص في العهد القديم تؤيد هذا الاضطهاد، منها: "فَقَالَ: اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا ١٠غَلِّظْ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ، لِئَلَّا يُبْصِرَ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ، وَيَرْجِعَ فَيُشْفَى، ١١ فَقُلْتُ: إِلَى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَصِيرَ الْمُدُنُ خَرِبَةً بِلَا سَاكِنٍ، وَالْبُيُوتُ بِلَا إِنْسَانٍ، وَتَخْرَبَ الْأَرْضُ وَتُقْفِرَ، ١٢وَيُبْعِدَ الرَّبُّ الْإِنْسَانَ، وَيَكْثُرَ الْخَرَابُ فِي وَسَطِ الْأَرْضِ"[١].

٢- تارتوليان، فقد تحدث عن اليهود بكراهية واضحة، وقال إن تحول هيكلهم وبلادهم إلى ركام، وتشتت شملهم في العالم كله، هما عقاب لهم.

٣-هيبوليتوس، وقد اتهم اليهود بالمشاركة في اضطهاد المسيحيين.

٤- أوسيبيوس، ذكر في كتابه: (تاريخ الطقوس الكنسية) يقول : (إن نبوءات العهد القديم تحققت في المسيح، وإن القوة والقيادة في إسرائيل أصبحت بيد مسيحييّ المسيح، وإن البعثة العالمية التاريخية لشعب إسرائيل انتُزعت منهم، وأُعطيت إلى الكنائس المسيحية[٢].

وفي القرن الرابع ظهرت ثلاث شخصيات لاهوتية مسيحية، عمّقت تلك الكراهية وزادتها رسوخاً في الأذهان، هي: Aphrahat (٣٠٠-٣٥٠م)،

(١) إشعيا (٦: ٩-١٢).

(٢) انظر: يد الله، مرجع سابق (٧٥-٧٦).

و Esubius(٢٦٩-٣٢٩م)، ويوحنا فم الذهب (٣٧٤-٤٠٧م)، وهذا الأخير وُصفت اتهاماته لليهود واليهودية بأنها صورة لأشنع الأدبيات قسوةً وعنفاً[١].

وفي أواخر القرن السادس الميلادي أسس البابا جريجوري العظيم ما يسمى: (عقيدة ضد اليهود)، والتي تقود مباشرة إلى مهاجمة اليهود بدنياً، معززين تلك العقيدة بالقول: إن اليهود لم يكونوا عمياناً عن رسالة المسيح مع علمهم أنه المسيا، ولكنهم رفضوه، لذلك يجب أن يُعاقبوا على جريمة صلب المسيح[٢].

كما كان من صور العداء في تلك الفترة "ظهور رسومات على حوائط الكنائس والكاتدرائيات ترسم اليهود على شكل العجل الذهبي أو البومة أو الحية، كما صور اليهودي كإنسان نجس وخاطئ وهرطوقي، وأنه سيبقى تائهاً في الأرض حتى مجيئ المسيح الثاني"[٣].

"كما مُثّل الكنيس اليهودي داخل الكاتدرائيات الكبرى والكنائس في صورة منحوت أنثى محنيّة الظهر في مذلةٍ وصَغار، معصوبة العينيين لا تلتفت إلى المسيح عليه السلام وبشارته، وفي يدها عصا مكسورة، ويدها مبسوطة إلى الأسفل في حيرة وهوان ملحوظ، وهي تحمل بين أصابعها الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام المبعثرة على الأرض، تعبيراً عن نسخها وزوال الحكم بها، وفي المقابل شخّصت المسيحية وعهدها الجديد في صورة منحوت هامته قائمة ومعتدلة، ورأسه مرفوع في وقار وسمو، يتطلع إلى المستقبل، رافعاً العهد الجديد في ثقة وأمل، وعلى رأسه إكليلٌ وتاج، عنوانين للهيمنة والسيادة المسيحية"[٤].

---

(١) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية، مرجع سابق (٦٧).

(٢) انظر: الأصولية الدينية حول العالم – الأصولية الإنجيلية نموذجا ، عبد الله الشقري (٦٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤) الأصولية نشأتها التاريخية، مرجع سابق (٦٨).

"وكان مُعْتَقداً أن اليهودي يَطلب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، وأنه يسرق الأطفال المسيحيين ويقتلهم لهذه الأغراض، وكان معتقداً أنه يسمم الآبار وينشر الأمراض، وانتشرت الإشاعات دائماً من بلد إلى بلد بأنه حلف مع العرب والمسلمين والتتر وجميع أعداء المسيحية، وقد كان في ذاكرة عامة الأوربيين يمثل العدو الخبيث، والخطر الذي يسعى أبد الدهر ليحطّم كلاً من بدن المسيحي وروحه"(١).

وقد استمر هذا العداء والكراهية لليهود طيلة القرون الوسطى، ويمكن أن نلخص مشاعر النصارى تجاه اليهود طيلة تلك الحقبة بنص للكاتب النصراني هيوستن ستيورات، في كتابه أسس القرن التاسع عشر، إذ يقول: "كل ما أتى به المسيح بوحي من الرب، لا يعني أي شيء عند اليهود، لقد أضناني البحث الطويل عبثاً في معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئاً من شعور إنساني نبيل نحو المسيح، وأنا أعترف بأنني قبل أن أفعل ذلك، لم أكن أتوقع إطلاقاً أن أجد شيئاً عن احترام المسيح بين صفحات هذه الكتب، لكني عرفت أن اليهودي الذي ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فوراً ويغدو غير يهودي بالمرة"(٢).

وعموماً فإن مجمل قول النصارى في اليهود أنهم قتلة المسيح، وسبب بلائه وبلاء حواريه وأتباعه، ولذلك فإنهم كانوا يتقربون إلى الرب بإذلالهم، واستباحة دمائهم لأتفه الأسباب، حتى قيل: لولا ظهور الإسلام لبادت اليهودية من على ظهر الأرض(٣).

كانت أشد مراحل العداء والبغض لليهود في أوروبا إبان الحملات الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمان ابتداء من عام ١٠٩٦م حتى ١٢٩١م، فقد

(١) اليهودية: ابن حزم الأندلسي (١٠٢).

(٢) الصهيونية المسيحية، مرجع سابق (١٤).

(٣) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، مرجع سابق (١٢٠).

كان المحاربون الصليبيون هم أول من بدأ المذابح ضد اليهود وهو في طريقهم إلى فلسطين[١].

وقد تنامت تلك الكراهية لهذا الجنس بين الأوربيين النصارى مع مرور الأيام لعدد من الأسباب[٢]، حتى وصل الأمر في أوائل القرن الثالث عشر إلى أنهم لم يعودوا يحتملوا رؤيتهم في ديارهم، فقاموا بطردهم من فرنسا بأمر لويس التاسع عشر، وإمعاناً في إغاظتهم وإذلالهم قام بحرق التلمود على رؤوس الأشهاد، وقال كلمته المشهورة: "أفضل شيء يمكن أن تفعله مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته"، يقول كوستلر: "كانت فرنسا نظيفة تماماً من اليهود قبل نهاية القرن الرابع عشر"[٣].

وكذا كان الأمر في بريطانيا، فقد قامت هي الأخرى بطردهم ومنعهم من دخولها لمدة ثلاثة قرون[٤]، وفي دولة النمسا تم طردهم منها سنة ١٤٢١م، ثم عادوا، ثم أعيد طردهم منها مرة أخرى بعد بضعة عقود على يد ماكسيميليان

(١) انظر: الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٢٤).

(٢) عزا بعض الباحثين هذا العداء التاريخي إلى ثلاثة أسباب:

الأول: السبب الديني، وقد تمثل في خضوع اليهود لكراهية المسيحيين بسبب عقيدتهم الدينية.

ثانياً: السبب الاجتماعي: وهو راجع لاتصاف اليهود من وجودهم بالانعزالية والتقوقع، مما دفع المجتمعات الأوروبية إلى النظر لهم بعين الارتياب والشك.

ثالثاً: السبب الاقتصادي، ويعود إلى تسلّط اليهود في عالم الاقتصاد، مع ظهور النظم الرأسمالية كسبب إضافي من أسباب تفاقم كراهية اليهود. انظر: الأصولية السياسية الإنجيلية، مرجع سابق (٨٠-٨١).

(٣)البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني د يوسف الحسن (٢٠).

(٤) انظر: دور الأصولية في نشأة الصهيونية، مرجع سابق (٦٣٩).

الأول[١]، كما طردوا كذلك من البرتغال سنة ١٤٩٦م، ومن جنوب إيطاليا ونابولي وميلانو[٢]، ثم من إسبانيا عام ١٥٠٠م[٣].

وقد ترتب على مبدأ (الجنس المنبوذ) الذي تعاملت به أهم الدول الأوروبية مع اليهود أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به، فعاشوا في أحياء خاصة بهم داخل البلد الذي هاجروا إليه، وكان حي اليهود دائماً يُعرف بالحي المظلم القذر، وكانت مجتمعاتهم مصدر الخيانات والمؤامرات في كل بلد ينزلون فيه[٤].

"وهكذا كان موقف النصارى من اليهود، موقف الرافض الساخط، بل والمعادي المحارب لكل اليهود، وكل مخلفاتهم عبر التاريخ منذ كفرهم بعيسى عليه السلام، كان هذا موقفاً ثابتاً لعموم النصارى حتى جاءت عصور الإصلاح الديني فهبت رياح التغيير شيئاً فشيئاً"[٥].

فرياح التغيير ذات الأثر الكبير التي هبت على العقائد النصرانية منذ ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتية في القرن السادس عشر أزاحت الستار عن موقف جديد للنصرانية من الجنس اليهودي وتراثه، وقيمته عند الرب كجنس سيكون له دوره المحوري في أحداث العالم ونبوءات نهاية الزمان، حيث بدأت النظرة السلبية تتغير تدريجياً، "وبدأ التهويد يشق طريقه نحو المسيحية الغربية"[٦]، الغربية"[٦]، حتى تحول العداء إلى نصرة وحماية وولاء.

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية، مرجع سابق (٣٣١/٤).
(٢) انظر: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية : عيسى اليازجي(١٩).
(٣) انظر: الديانة الهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك (١٠٦).
(٤) انظر: اليهودية، أحمد شلبي (١٠٠).
(٥) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، مرجع سابق (١٢٦).
(٦) دور الأصولية في نشأة الصهيونية، مرجع سابق (٦٤٣).

كان هذا التغيير كبيراً لدرجة أن عدّه بعض الباحثين انسلاخاً عن الروح المسيحية، "فقد خالفت البروتستانتيةُ الكاثوليكيةَ في الكثير من العقائد التي تمثّل جوهر المسيحية، وكانت لا تمتلك مضامين المسيحية بقدر التصاقها بالتسمية والشكليات الاستغلالية لروح الكنيسة، بل كانت مطاوعةً لليهودية روحاً وفكراً على حساب المسيحية نفسها"(١).

فأهم منطلقات وضع بذورها لوثر –وهو ابن الكاثوليكية– في بواكير الإصلاح، وكانت بمثابة الانقلاب على نصرانية روما، وكانت لها تداعياتها الضخمة على الفكر والعقيدة والتصور النصراني بعد ذلك هي:

أولا: بعث الاهتمام بالعهد القديم (التوراة)، تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدراً من مصادر العقيدة النصرانية.

ثانياً: وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي للكتاب المقدس، دون الخضوع لفهم رجال الدين وقراءاتهم واستنباطاتهم.

ثالثاً: تحسين الصورة الباهتة للجنس اليهودي في المجتمعات الأوروبية، على اعتبار أنهم شعب الرب المختار، وأنهم الأسياد وغيرهم دون ذلك.

كما كان يرى في حق اليهود أن من الواجب أن يُغتفر لهم احتفاظهم بعقيدتهم الخاصة، وكان يوصي أن يُعاملوا برفق، وأن يُفقهوا في الكتاب المقدس بطريقته، لا بطريقة بابوات الكنيسة الكاثوليكية الأجلاف الحمقى –كما يصفهم– فحينئذٍ سيجيئ اليهود إلى المسيحية زرافات ووحدانا(٢).

(١) الأصولية اليهودية والأصولية النصرانية، حسام كصاي (٩٩).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت (٢٤/ ١٤٢)

"ولعل لوثر قد أدرك أن البروتستانتية كانت في بعض مظاهرها عودة إلى الدين اليهودي، وذلك في رفضها للرهبانية والعزوبة المفروضة على رجال الكهنوت، وتشديدها على العهد القديم والأنبياء والمزامير"(١).

تقول جريس هالسل عن هذه العودة: "توجه البروتستانت إلى العهد القديم ليس فقط على أنه أكثر الكتب شهرة، ولكن على أنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام، وبذلك قلّصوا تاريخ فلسطين ما قبل المسيحية إلى تلك المراحل التي تتضمن الوجود العبراني فقط، إن أعداداً ضخمة من المسيحيين وضعوا في إطار الاعتقاد أنه لم يحدث شيء في فلسطين القديمة باستثناء تلك الخرافات غير الموثوقة من الروايات التاريخية المسجلة في العهد القديم"(٢).

وكان مما أفضى إليه بعث الاهتمام بالعهد القديم والقراءة الحرفية لنصوص الكتاب المقدس عموماً "الاعتقاد بأنه لم يكن في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة في العهد القديم، حيث كان يبدو وكأنه لا وجود للشعوب الأخرى في فلسطين، وهكذا رسخت في أذهان البروتستانت فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وفلسطين، باعتبارها وطنهم القومي الذي أخرجوا منه، والذي يجب أن يُعادوا إليه، طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم"(٣).

وبهذا التحول الكبير في الأصول النصرانية أصبحت البروتستانتية منسجمة تمام الانسجام مع الأهداف الصهيونية اليهودية، بل قد ولّدت لديها الحماسة لمعتقدات العهد القديم ونبوءاته أكثر من اليهود أنفسهم، وربطت مصير

---

(١) المرجع السابق.

(٢) النبوة والسياسة، مرجع سابق (١٠٢).

(٣)الصليبيون الجدد الحملة الثامنة دراسة في أسباب التحيز الأمريكي والبريطاني لإسرائي: يوسف العاصي الطويل(٨).

أهدافها بعودة اليهود إلى (الأرض الموعودة) وحمايتهم، وإقامة دولتهم وبناء الهيكل على جبل صهيون.

"كان هؤلاء المسيحيون يؤكدون على القومية اليهودية، وعقيدة الاختيار اليهودي، وحقهم الإلهي في العودة إلى فلسطين، والأهم من ذلك أنهم استمروا في إقامة صلة حيوية بين عودة اليهود وقوة الأمم الغربية، وأصروا على أن الواجب الديني يملي على الأمم البروتستانتية استخدام مواردها لدعم عودة اليهود"(١).

ولذا فاليهود الصهاينة لا يخفون سرورهم بهذه الحماسة لدى الأصوليين النصارى، وينسبون الفضل إليهم علناً وصراحةً في مساعدة الصهيونية اليهودية على تحقيق أهدافها، "ففي السادس من فبراير سنة ١٩٨٥م ألقى سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة بنجامين نتانياهو خطاباً أمام المسيحيين الصهاينة قال فيه: (لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين، لقد قدم المسيحيون دعماً طويلاً متواصلاً وناجحاً للصهيونية، وقد ساعدوا على تحوّل الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية"(٢).

وكمثال على تطرف الأصولية النصرانية في تحقيق الغايات الصهيونية اليهودية ذات المنطلقات التوراتية، ما حدث "في مؤتمر بال الذي نظّمه قادة المسيحيين الأصوليين لمصلحة إسرائيل في أغسطس ١٩٨٥م، فقد اعترض أحد الإسرائيليين المشاركين في المؤتمر على اقتراح يحث إسرائيل على ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إليها، مُقتَرِحاً تخفيفه، بسبب أن استطلاعات الرأي في

(١) الاستثنائية الإسرائيلية، محمد شهيد علم (٢٤٧).

(٢) النبوة والسياسة، مرجع سابق (١٠٧).

إسرائيل تشير إلى أن ثلث الإسرائيليين يرغبون في استبدال الأرض مقابل السلام، فأجابه المتحدث باسم منظمة (السفارة المسيحية الدولية في القدس)، وهو الهولندي فان دير هوفين قائلاً: (لا يهمنا تصويت الإسرائيليين، ما يهمنا هو ما يقوله الله، والله أعطى هذه الأرض لليهود)"[١].

وبهذا يظهر أن الأصولية النصرانية تجاوزت حتى طموحات صهاينة اليهود في السعي إلى أهدافهم وتلبية مطامعهم، يقول الدكتور محمد الزعبي واصفاً تأثير اللوثرية على وضع اليهود: "لقد ضرب التخطيط اليهودي بالحركة اللوثرية حجراً فأصاب عصافير:

١- أصاب الكرسي البابوي بأكرم أبنائه.

٢- استغل الدين للمصلحة اليهودية، استغلالاً فخماً، منذ ربط العهد الجديد بالقديم.

فقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجوراً، مصفداً في أقبية بعض الأديرة، ثم أخذ بالظهور منذ الحركة اللوثرية، وفاز بالترجمة والانتشار، لاستغلال ما يرونه مواعيد"[٢].

وهكذا انتشرت فكرة بعث الأمة اليهودية بين معتنقي المذهب البروتستانتي، وسعى الكثيرون بينهم إلى تحقيقها طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم، وتراجعت الروايات التي تروج لليهودي التائه البغيض المرابي مُسمِّم الآبار وقاتل الأطفال، وحلت محلها الروايات التي تصوره بالشخصية الطيبة، وأنه يحمل تراثاً مجيداً، وحقوقاً تاريخيةً مسلوبة[٣].

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، مرجع سابق (١٦٧).

(٢) الماسونية في العراء، محمد علي الزعبي (١٠٧).

(٣) انظر: الصليبيون الجدد، مرجع سابق (١٢).

"كانت التغييرات اللاهوتية التي جاءت بها حركة الإصلاح هي التي روجت لفكرة أن اليهود شعب مختار، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين، وكان هناك من قبل ذلك فصل واضح بين شعب العهد القديم العبري، الذي كان يُعتبر مثالياً، وبين اليهود المعاصرين الذين يُنظر إليهم بازدراء، ولكن العبرانيين التوراتيين أصبحوا يُقرَنون بأبناء دينهم الحديثين في هذه الفترة، وساد الاعتقاد بين البروتستانتيين أن اليهود المشتتين حالياً سيُجمعون من جديد في فلسطين للإعداد لعودة المسيح"(١).

وبتحليل أكثر دقة للأسباب التاريخية التي أحدثت هذا التغيير في علاقة النصرانية باليهود وتحولها من العداء إلى نقيضه، نجد أنه قد صاحب العامل الديني عوامل ودوافع أخرى عديدة، سياسية واقتصادية واجتماعية لا يمكن تجاهلها أو إغفالها.

إلا أنها وفي المحصلة أخذت العقائد النصرانية فيما يخص علاقتهم بالجنس اليهودي إلى اتجاه مغاير لمسارها التاريخي، وبدأت تظهر كتابات أوروبية تنطلق من العقائد البروتستانتية الاسترجاعية وتتظّر للعودة المنتظرة، وقد ركزت نصوصها على ضرورة نقل اليهود من أوروبا، وإعادتهم إلى أرض الميعاد تمهيداً للخلاص المسيحي بمجيء المسيح الثانية.

فقد أخرج الكاتب الإنجليزي (سير هنري فيش) كتابه: (عودة اليهود) عام ١٦٢١م، وتوقع فيه اقتراب موعد عودة اليهود إلى فلسطين، ثم خرج كتاب آخر للكاتب الإنجليزي أيضاً (جون آرثر) سنة ١٦٤٢م حدد من خلاله موعداً بعد تاريخ صدور كتابه بعقدين لظهور المسيح، ثم أعقبهما كتاب آخر صدر عام

(١) الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٢٥).

١٧٧٤م لمؤلفه: (بروزرز) حدد فيه تاريخ ١٧٩٥م لظهور المسيح المنقذ، ودعا فيه اليهود للعودة إلى فلسطين(١).

استمرت عملية (تأهيل اليهود) وإحياء قدسية الجنس المختار وتراثه وتاريخه في الفكر الغربي على يد الأصولية البروتستانتية مدة من الزمن، لكنها كانت تأخذ –في الغالب– مساراً تصاعدياً منتظماً ومتشعبا، حتى إن الخطاب الغربي صار مُشبعاً برموز التراث اليهودي وأساطيره، فصار شخص مثل كارل ماركس يستعمل رموزاً توراتية لإيصال أفكاره وآرائه، فيقول بعد إخفاق الثورات الأوروبية في تحقيق المجتمع المثالي في منتصف القرن التاسع عشر: (إن الجيل الحاضر يشبه اليهود الذين قادهم موسى في القفار)(٢).

كان العهد القديم الذي أعاد إحياءه الإصلاح البروتستانتي، وجعله الوِرد الروحي والفكري لأتباعه، يمتلئ بالنصوص التي تمجد شعب إسرائيل وتقدسه، وتقدمه على سائر أجناس الأرض، فكان لامتيازاته التوراتية على شعوب الأرض في الذهنية الأصولية مبرراً لا يقبل النقاش، فنجد –على سبيل المثال– في العهد القديم نصاً يقول: "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الْأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلَادِكِ فِي الْأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الْأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ ٢٣وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ، بِالْوُجُوهِ إِلَى الْأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ"(٣).

وفي نص آخر يتحدث عن مكانة شعب إسرائيل وقداسته عند الرب: "فَالْآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، فَإِنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ ٦وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً، هَذِهِ

(١) انظر: الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي محمد السماك (٦٧).

(٢) انظر: من أجل صهيون، مرجع سابق (٢٥١).

(٣) إشعيا (٤٩: ٢٢–٢٣).

هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"[١]، وفي موضع آخر: " لِأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، ٧ لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لِأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ ٨بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لِآبَائِكُمْ"[٢]، وغيرها الكثير.

وتوازياً مع الصعود المطرد لنفوذ الخطاب الأصولي في الدوائر الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، وارتفاع أسهم العهد القديم وكثافة حضوره في الحراك الديني والسياسي والاجتماعي، وربط شعب إسرائيل المعاصر بإسرائيل التوراتية وعلاقته بنبوءات نهاية الزمان، أسبغت الأصولية النصرانية على الشعب اليهودي نوعاً من القداسة على اعتبار علاقته الخاصة مع الله، وأخذ دعاة هذا الخطاب من أمثال جيري فالويل وبيلي غراهام وبات روبرتسون وغيرهم يروجون بين أتباع الكنائس الأصولية بأن قدسية هذا الشعب وأولويتهم هي نتيجة لكون نبي المسيحية رجلاً يهودياً، حتى بات هذا الأمر لدى المراجع الدينية الرئيسة في الغرب نوعاً من المسلّمات، ودخلت بذلك في معتقدات المؤمنين[٣].

وانطلاقاً من هذه المسلّمات نشط الحراك الأصولي النصراني، "وأصبحت الحروب والفوضى والاستيطان والتوسع الصهيوني والقتل المتعمد للفلسطينيين أمر قدري، ووصية ربانية، ووعد إلهي مبارك، من أجل تأسيس وطن لأسطورة (الشعب المختار)، وبات أمراً لا يقبل النقاش"[٤].

(١) الخروج (١٩: ٥-٦).

(٢) التثنية (٧: ٦-٨).

(٣) انظر: من أجل صهيون، مرجع سابق (٢٥١-٢٥٢).

(٤) الشرق الأوسط اللاهوتي صفقة القرن من الممانعة إلى التطبيع، حسام كصاري (٨٧).

المطلب الثالث: التراث التوراتي وصياغة الوعي الديني والأخلاقي في الثقافة البروتستانتية

كان للتقاطع بين التراث اليهودي والنصراني البروتستانتي المتمثل في التوراة أو ما يسمى عند النصارى في كتابهم المقدس بالعهد القديم مردوده الهائل على التصورات، وما يتبعها من الأخلاق والسلوك والتعامل مع الآخر.

فقد "أصبحت حكايات العهد القديم زاداً يومياً للعقل البروتستانتي، حتى بات المؤمنون من تكرار قراءاتهم لها يحفظونها عن ظهر قلب، حتى إن المسيح (يسوع الناصري) لم يعد المسيح بن مريم، بل مجرد نبي آخر من زمرة أنبياء اليهود، وتصف المؤرخة اليهودية توخمان ذلك بأنه (غزو عبراني)، وتسميه: لوثة العهد القديم"(١).

وبهذا صنعت النصوص –بعد اعتقاد عصمتها وحرفيتها– في النفوس التي آمنت بها شخصيات ترجمت معانيها، واندفعت بكل إخلاص لتَمثُّلِها وممارستها واقعاً في الحياة، كونها وصايا الرب والعمل بها وسيلة مباشرة إلى تحقيق مرضاته والوصول إلى أهدافه وغاياته، وخطته التي وضعها لهذا الكون وأحداث نهاياته.

كان هذا الاعتقاد من أهم الأعذار التي بررت لمن يدين بها إجرامه بحق غيره من الأمم في العصر الحديث، وهو عينه الذي رسخ في قلب من يؤمن بأفضلية الجنس اليهودي وتفوقه المطلق، وأحقيته في استرداد حقه والانتصار لمظلوميته التي سلبته أرضه، ويؤمن بضرورة القيام بتجميع هذا الجنس في أرض الميعاد، كمقدمة لعودة المسيح وقيام المملكة الألفية والخلاص الأبدي.

(١) المسيح اليهودي و نهاية العالم رضا هلال (٣٢).

وهذا الإبراز لهذا العنصر المختار الذي قرره الرب يهوه في العهد القديم – بحد زعمهم– يقسم الجنس البشري إلى قسمين لا ثالث لهما، الجنس اليهودي المتعالي الذي هو شعبه، وقد اختاره واصطفاه شعباً له، والجنس الآخر وهم كل من عداهم من أمم الأرض في القديم والحديث، ولهذا "يشكر اليهودي إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي، وحينما يقع الاختيار على أحد المصلين لقراءة التوراة فعليه أن يحمد الإله لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الأخرى، ولمنحه التوراة علامةً على التميز"(١).

وأما سبب هذا الاختيار، فإن الفكرة الأكثر شيوعاً عندهم لتبريرها أنها "ناجمة عن إرادة الإله المطلقة، المبنية على الحب الإلهي لهذا الشعب، وعلى طبيعة العهد والميثاق الذي ألزم الإله به نفسه تجاه الشعب، فهو اختيار لم يأت نتيجة كثرة عددهم؛ بل نتيجةً مباشرةً لحبٍّ إلهي خالص"(٢).

وهذا (الاختيار) "لا علاقة له بالخير أو الشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يسقط عن الشعب اليهودي، حتى ولو أتى الشعب اليهودي بالمعصية، إذ أن حب الإله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الإله شعبه كلّيّة، في أي وقت من الأوقات ومهما تكن شرور هذا الشعب"(٣).

كان الإطار الذي تضمن معنى الاختيار والاصطفاء لجنس بني إسرائيل في العهد القديم، يقدم هذا الشعب على غيره من شعوب الأرض من خلال التأكيد على الأصول التالية:

أولا: امتياز بني إسرائيل منذ طفولة البشرية، أي منذ زمن نوح، فميّز سام ويافث على حام أبي كنعان.

(١)موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – عبد الوهاب المسيري (٧٢/٥).

(٢) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية العلواني (٥٢).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية، مرجع سابق (٧٢/٥).

ثانياً: امتياز إسحاق على أخيه إسماعيل، ووصف إسماعيل بأنه ابن جارية.
ثالثاً: امتياز يعقوب على عيسو، بالرغم من كونهما توأمين.
رابعاً: امتياز يوسف بن يعقوب على سائر إخوته، لا لكونه أفضل خلْقاً وخلُقاً، بل لكونه ابن شيخوخة أبيه(١).

وهكذا كانت رواية التوراة تقرر أفضلية جنس بني إسرائيل من أصول البشرية الأولى، وتفرده بالبركة، فتبارك (سام) ابن نوح في قصة انكشاف عورة أبيه، وتصب اللعنات على ابن أخيه وهو (كنعان)، يقول النص في حق سام: "وَقَالَ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ"(٢)، وفي المقابل تَعمِد إلى الازراء بالآخر والحط من شأنه، وذلك باستعمال أشنع الألفاظ في توبيخه والطعن فيه، فتقول عن كنعان – وهو ابن حام– على لسان نوح: "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ"(٣)، أي: عبداً لسام ويافث أبناء نوح.

وبهذا أحلّت التوراة اللعنة على (كنعان) وأبنائه من بعده، بينما باركت (سام)، مع أن سياق القصة يشير إلى أن الذي كان يتوجب أن تحلّ عليه اللعنة هو (حام)، لأنه –وبحسب القصة التوراتية– هو الذي أبصر عورة أبيه، وليس (كنعان) أحد أبناء (حام) الأربعة، لكن كانت هذه رغبة إسرائيل كما هي رغبة يهوه(٤).

وهذه الفوقية التي يقررها العهد القديم للشعب المختار، ووضاعة الجنس الآخر خصوصاً نسل كنعان، تكررت في عدة أحداث ومواضع من العهد القديم

(١) انظر: أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، عطا الله بخيت (٤٤٦).
(٢) سفر التكوين (٩: ٢٦).
(٣) المرجع السابق (٩: ٢٥).
(٤) انظر: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية ، عيسى اليازجي (١٠).

علـى امتـداد تـاريخ بنـي إسـرائيل، فنجـد مـثلاً قصـة يعقـوب عنـدما أراد الـزواج فأوصاه أبوه إسحاق وأمه أن لا يتزوج من نسل كنعان، يقول النص: "فَلَمَّا رَأَى عِيسُو أَنَّ إِسْحَاقَ بَارَكَ يَعْقُوبَ وَأَرْسَلَهُ إِلَى فَدَّانِ أَرَامَ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مِنْ هُنَاكَ زَوْجَةً، إِذْ بَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلًا: لَا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ، ٧وَأَنَّ يَعْقُوبَ سَمِعَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَذَهَبَ إِلَى فَدَّانِ أَرَامَ، ٨ رَأَى عِيسُو أَنَّ بَنَاتِ كَنْعَانَ شِرِّيرَاتٌ فِي عَيْنَيْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ"(١).

وبالنظر للواقع، فقد "كانت الثورة البروتستانتية، وترجمات الكتاب المقدس قد حفّزت الكثير من الأسئلة عن مكانة اليهود، وطبيعة معتقداتهم، والإله الذي يعبدونه، وحدث بصورة تدريجية تحول في نظرة المسيحيين في أوروبا إلى وجود اليهود بينهم، وأثارت معرفة الناس بنصوص العهد القديم فضولهم حيال مفاهيم العهد والشعب المختار وأرض الميعاد، وكل الأساطير التي وردت عن اليهود وديانتهم وأنبيائهم.

"كانت معلومات البيورتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية، وبالتالي التماثل بينهم وبين شعب الله المختار خاصة في تجارب الاضطهاد المرة والحرب الأهلية، وجدوا في العهد القديم بشكل خاص اللغة والأحاسيس التي تنطبق عليهم وتناسبهم تماماً، كانت تجربة حقيقية لصراع الديني والسياسي والاضطهاد، تلك التي جعلت مجازات العهد القديم محتملة الصحة، ودفعتهم لاستعمال لغته، والأسماء الواردة فيه، باعتبارها أنسب أداة لنقل أفكارهم العنيفة"(٢).

(١) التكوين (٢٨: ٦-٨).

(٢) الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٣٨).

كما كانت مسألة ربط المسيح باليهودية ضمن أجندات الخطاب الأصولي، ومما عزز ثقافة الإرث المشترك بين اليهودية والمسيحية، يقول بيلي غراهام: "إن هناك علاقة خاصة بين الله والشعب اليهودي في إسرائيل، فقد ولد المسيح من بني إسرائيل يهودياً في الهيكل، وبعث على رأس الديانة اليهودية"(١).

وهكذا بدأت عملية إعادة تقييم اليهود في الأوساط الأكاديمية والكنيسة، ثم راحت تتسرب إلى صفوف العامة من الشعوب البروتستانتية، وكان من نتائج هذه العملية أن خفّت وطأة تهميش اليهود وغموض مكانتهم في تاريخ البشرية، وبدأ عهد جديد أُعطيت لهم فيه أهمية خاصة في خطة الله للكون"(٢).

"وقد عبّر محمد فاروق الزين عن هذا التحول في النظرة إلى اليهود بقوله: (إن حركة الإصلاح الديني البروتستانتية زوّدت اليهود بفرصة تاريخية نادرة وفريدة، حصلوا من خلالها على الاحترام والدعم الهائل وغير المشروط من المسيحية الغربية، بسبب إيمان الأصوليين بالدور الكبير الذي من المفترض أن يلعبه اليهود في سيناريو المجيء الثاني، فاليهود حصلوا على فلسطين باعتبارها (الأرض الموعودة)، والمسيحيون الأصوليون ضمنوا بذلك تحقيق عودة المسيح الوشيكة)(٣).

ولما حصلت هجرات البيورتانيين النصارى من إنجلترا فراراً بعقيدتهم في النصف الثاني من القرن السابع عشر، "حملوا معهم التقاليد والأفكار التوراتية، والتفسيرات الحرفية للعهد القديم، وكان أغلبهم من البيورتانيين المتشددين، الذين كانت اللغة العبرية لديهم لغة مهمة، فكانوا يتكلمونها بسهولة، وكانت تُدرّس مع بداية التعليم العالي في كل المستعمرات الأمريكية، فكانت رائجة بينهم أكثر من

(١) الصهيونية المسيحية ودورها في خدمة المشروع الصهيوني، حنان عبدالحليم (٥٨).
(٢) من أجل صهيون، مرجع سابق (٤٢).
(٣) من أجل صهيون، مرجع سابق (٤٤).

رواجها بين اليهود من معاصريهم في أوروبا، وقد أعطوا أبناءهم أسماء يهودية من العهد القديم، مثل سارة وديفيد وأبراهام، كما تمت تسمية كثير من المدن بأسماء عبرية قديمة مثل حبرون وشارون وصهيون"(١).

ولما كان الأمر كذلك، كان من المستحيل أن يتشرب المرء تاريخ العهد القديم، وأن يسترجعه كوحي سماوي معصوم، ويعيش معه كمرشد يومي ملازم ولا يحترم الشعب المعني بذلك كله، وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودي المختار تؤدي دوراً متميزاً في الفكر الأصولي البيورتاني(٢).

وكتأثير مباشر للثقافة التوراتية رأى المهاجرون وطلائع البروتستانت في أمريكا "تاريخهم استمراراً، وحياتهم الخاصة انعكاساً، وانجازاتهم الخاصة تحقيقاً لتجربة فلسطين قبل قرون مضت، وذلك لأنهم كانوا يهوداً بالفعل"(٣).

كما رأوا أن حاضرهم هو الامتداد الحقيقي لبني إسرائيل أو (العبرانيين القدامى) الذين تحدثت عنهم نصوص العهد القديم في تعرضهم للاضطهاد ثم الهجرة والخروج، ثم تملك الأراضي بالأمر الإلهي حتى لو أفضى الأمر إلى إخراج أهلها منها بالقوة والبأس.

فقد كانت مطاردتهم للهنود الحمر (السكان الأصليين) "مقتبسة من مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين، وبما أنهم شعب الله المختار، فقد أباحوا لأنفسهم التضحية بالآخرين، واستعملوا أبشع وسائل القتل لإبادة ملايين من السكان الأصليين، حتى بات اصطياد الهندي رياضة شعبية مسلية في

(١) الصهيونية المسيحية ودورها في خدمة المشروع الصهيوني، حنان عبد العليم شحادة (٥٨).

(٢) انظر: الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٤٠).

(٣) الاستثنائية الإسرائيلية، مرجع سابق (٢٤٤).

بعض الولايات، بحيث يمُزّق جسد الضحية التي تصاب منهم، أو تُلقى طعاماً للكلاب"[١].

وإجمالاً فإن العقائد الطهورية البروتستانتية التي تأسست عليها العقلية الأصولية النصرانية في أرض الميعاد الجديدة تقوم على ثلاث مرتكزات:

الأولى: أن هناك خطة إلهية شاملة للعالم، يلعب فيها الطهوريون بهجرتهم إلى أمريكا دوراً مهماً.

ثانياً: اختيار العناية الإلهية للطهوريين المهاجرين إلى العالم الجديد، فهم شعب الله الذين اختارهم للهرب من فساد العالم القديم، وإنشاء مملكة الله على الأرض، وهم في ذلك يقتدون بقبائل إسرائيل في هروبها من مصر إلى أرض فلسطين.

ثالثاً: أن هذه الجماعة المهاجرة على علاقة تعاهدية مع الله، وهم شركاء في تنفيذ مهمة حددها لهم في هذا العالم، تتلخص في تنوير بقية الأمم، وإنقاذها من الجاهلية والظلام[٢]، "وبالتالي فإن أفراد هذه الكنيسة هم مواطنو مملكة الله المرتقبة"[٣].

وفي واحد من المراجع الرئيسة لتاريخ أمريكا الديني وعنوانه: (مهمة في القفار)، يقول فيه المؤلف بيري ميلر: "إن ا لأمريكيين الأوائل اعتقدوا اعتقاداً راسخاً بأن الله اصطفى من خلقه أمة بكاملها، لكي يغرس منهم بذوراً منتقاه في القفار الأمريكي، لكن هدف الخالق كان أبعد من تمكينهم من الهرب من المعاناة من إنجلترا، بل كان من مقاصد الله أن يكونوا مدينة على الجبل، ومثالاً للعالم كله لشعب دخل في عهد مع الله، فدورهم في خطة الله أن يقدموا نموذجاً عملياً

(١) أمريكا تعزف لحناً صهيونياً، رشيد عبدالقادر (١٧).

(٢) انظر: أمريكا تعزف لحناً صهيونياً، مرجع سابق (١٩).

(٣) الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، عبد القادر محمد فهمي (٣٨).

للمجتمع المؤمن، وأن يجعلوا من حياتهم وسلوكهم وسيلة لتحرير البشرية من العبودية أو الجهالة"[١].

"هذه الفكرة، والتي سيكون لها شأن كبير في ترسيخ قناعات ثابتة في عقلية المجتمع الأمريكي، تؤمن بمفهوم (التدبير الإلهي)، والذي يذهب إلى أن الله كان ضمن تقديره وتدبيره لخطة الكون والتاريخ وضع لأمريكا مهمة مقدسة خاصة بها، بمعنى أن هناك تصميم إلهي في صياغة الكون، وأن أمريكا وفق هذه الصياغة مكلفة برسالة ربانية لأن تكون قائدة لهذا العالم، يقول ويليم ستريتشي: (إن الله قد حفظ أمريكا مخبأة لهدف في ذهنه، وإن الذين أنشأوا المستوطنة الصغيرة في فرجينيا لم يكونوا يعملون إلا كوسيلة لتنفيذ إرادة الله وتدبيره، وإن الله قرر إكمال مهمتهم في سعيهم إلى إتمام تحقيق خطته للكون التي يوجه التاريخ كله نحوها"[٢].

ويقول جون آدمز وهو أحد الآباء المؤسسين للدولة الجديدة: "إن الله ما أوجد أمريكا إلا لتنفيذ مشيئته المتمثلة في القيام بعبء تنوير وقيادة الشعوب الرازحة تحت نيّر الجهل والتخلف والعبودية، والأخذ بأيديها صوب التنوير والتقدم والحرية"[٣].

"وهكذا صار المستوطنون البيورتانيون يمثلون النموذج الروحي للعهد القديم العبري، وقد أسموا أنفسهم (أطفال إسرائيل Children Of Israel في طريقهم إلى الأرض الموعودة)، واحتفلوا بيوم السبت كيوم راحة لهم.

كما مارس المهاجرون الأوروبيون الأوائل الأسلوب الاستيطاني اليهودي القديم نفسه لأرض كنعان، ودرسوا واستوعبوا قصص العهد القديم، وبخاصة

(١) من أجل صهيون، مرجع سابق (١٨٤-١٨٥).
(٢) الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، مرجع سابق (٣٨).
(٣) المرجع السابق (٣٨).

عناصره الخمسة الأساسية، وهي: أسفار التكوين، والخروج، والأحبار، والعدد، والتثنية، التي تناولت قصة دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من مصر، فصارت الولايات المتحدة الأمريكية عند هؤلاء المهاجرين كنعان الجديدة، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء، حينما فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جيمس الأول في هذه الحالة)، وهربوا من أرض مصر (إنجلترا في حالتهم)، بحثاً عن أرض الميعاد الجديدة.

ولما كانت مطاردة مهاجري أوروبا للهنود الحمر في العالم الجديد الأمريكي، مشابهةً لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين –بحسب التوراة عندهم– فقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجداناً متشابهاً ومشتركاً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث"[(١)].

جلب هذا التماهي مع العهد القديم وأساطيره وقصصه تصورات لدى المؤسسين الأوائل للعالم الجديد، حاولوا من خلالها محاكاة الشعب الإسرائيلي القديم، وإعادة أسطورته في الأذهان، فكانت الطريقة التي يُحتفى بها بجورج واشنطن أنه موسى الجديد، وأن أولئك الذين قادهم كانوا خلفاء بني إسرائيل، وأن بريطانيا هي مصر الأخرى[(٢)].

كما اقترح توماس جيفرسون[(٣)]، وهو ثالث رئيس للولايات المتحدة، ومَنْ كَتَب وثيقة استقلالها، أن يكون شعار الولايات المتحدة الأمريكية على هيئة (أبناء

(١)الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية ، سعد بن محمد الشهرانى (١٤-١٥).

(٢) انظر: الشعب المختار الأسطورة التى شكلت إنجلترا وأمريكا ، كليفورد لونجلى (٢/ ٢٣، ٣٤).

(٣) المسيح اليهودي، مرجع سابق (١٠٩).

إسرائيل)، تقودهم في النهار غيمة، ويضيء لهم عمود من نار ليلاً، محاولاً تجسيد الهيئة التي خرج بها بنو إسرائيل من مصر[١].

وأكد هذه الفكرة الرئيس كارتر حين ربط بين الشعب الإسرائيلي والشعب الأمريكي برابطة الظهور المشترك على مسرح التاريخ، والتراث المشترك بين الشعبين، فقال: "لقد أقام الرواد وأقوام تجمعوا في كلا الشعبين من دول شتى إسرائيل والولايات الأمريكية المتحدة، فشعبي كذلك أمة لاجئين ومهاجرين، إننا نتقاسم معاً ميراث التوراة"[٢].

وهكذا "شعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هي الأرض المختارة التي أسبغ الرب عليها نعمته، وقد انعكست هذه الرؤية –على سبيل المثال– في خطاب الرئيس كلينتون الافتتاحي سنة ١٩٩٧م حينما قال: (استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، دعونا نوجّه أبصارنا أرض ميعاد جديدة)"[٣].

وبسبب الارتباط بجنس بني إسرائيل الذي يقدسه العهد القديم في عدد من أسفاره تولد لدى الأصولية النصرانية قناعات بأن إسرائيل اليوم في فلسطين هي إسرائيل القديمة التي سكنها العبرانيون القدامى، يقول أحد أهم أعمدة الخطاب الأصولي وهو جيري فالويل: "إن إسرائيل اليوم هي إسرائيل الله، التي وعد بإنشائها على تلّة جبل صهيون"[٤].

كما كان من ثمرات ارتباط الأصولية بالتراث اليهودي وبخاصة العهد القديم ما أشرنا إليه من الأفكار التي حملها المهاجرون الأوائل بصفتهم أطفال

(١) أمريكا تعزف لحناً صهيونياً، مرجع سابق (١٧).
(٢) الصهيونية غير اليهودية، مرجع سابق (٢٨٤).
(٣)الدين في السياسة الأمريكية ، فرانك لامبرت (٤٨).
(٤) لماذا هذا الدعم الأمريكي لإسرائيل، محمد علي دولة (٤٦).

إسرائيل، وأنهم امتداد لهذا الإرث والفكر، وامتداد لجنس بني إسرائيل الذين قادتهم الغيمة وعمود النار إلى أرض الميعاد وكنعان الجديدة.

وتأكيداً على هذا الارتباط الروحي والامتداد الكتابي للمهاجرين الأوائل بشعب بني إسرائيل القديم، "يقول المؤرخ الأمريكي إنكريس ماذر: (لم يوجد في تاريخ البشرية من قبل، جيل استطاع أن ينفض عنه غبار بابل مثل الجيل المسيحي الأول الذي استوطن أمريكا، وهذا هو تماماً ما عبّر عنه المؤرخ الأمريكي فيرنون بارنغتون في كتابه: (التيارات الرئيسة في الفكر الأمريكي)، حين تحدث عن حماس المهاجرين الطهوريين الأوائل الهاربين من فساد أوربة، لتأسيس حياة نموذجية، والسعي نحو تحقيق كنعان آمالهم"[١].

بل وقبل هجرة الطهوريين إليها ما كان من أفكار الرحالة الإيطالي كريستوفر كولمبوس الذي يُنسب إليه الفضل في اكتشافها في نهايات القرن الثالث عشر، إذ كان يحمل ذات الفكر ذي النزعة التوراتية، وذات المنهجية في قراءة نصوصه.

فهو لما لخص أهدافه في رسالة بعث بها إلى ملك إسبانيا فرديناند ليحصل منه على الدعم والتمويل لرحلته صرح بتأثير نبوءات العهد القديم عليها، فقال: إنه يريد أن يكتشف ممالك ومدناً جديدة يضمها إلى التاج الإسباني، ويهدي شعوبها إلى الدين المسيحي، ثم يجنّدها فيما أسماه: (حرب الحياة أو الموت ضد إمبراطورة محمد)، وأضاف: بأن هدفه النهائي هو (استعادة) الأراضي المقدسة، وخاصة القدس ومهد المسيح، وذلك تمهيداً لنزول مملكة الله على جبل صهيون[٢].

(١) من أجل صهيون، مرجع سابق (١٨٦).

(٢) انظر: من أجل صهيون، مرجع سابق (٢٦).

وأضاف في رسالته التي استمال بها عطف الملك الاسباني: إنه يريد استعادة الأراضي المقدسة، والاعداد لإنشاء مملكة الإله على جبل صهيون في موقع الهيكل، وكان يعتقد أن العناية الإلهية قد اختارته لتحقيق أهداف الخالق ونبوءات الكتاب المقدس، وأن هذا الاعتقاد كان يراوده منذ نعومة أظفاره(١).

فالملاحظ أن البناء الفكري لطلائع المهاجرين البروتستانت إلى (أرض الميعاد الجديدة) –كما يصفونها– كان يتسم بالارتباط الوثيق بالنصوص التوراتية، وبالشعب المختار، وبالميثاق القديم مع الله، وبتكليف الأمة الجديدة بهداية الأمم المتخلفة، وإخراجها إلى التنوير والحرية والهداية، وهو ما يمكن تسميته ب(الهاجس الرسالي).

وقد كان من مخرجات الفكر التوراتي الذي تأثرت به الأصولية وله صلة بالموقف من الآخر فكرة محور الخير ومحور الشر، أو أبناء النور وأبناء الظلام، فإن "هذه الفكرة في الأصل نابعة من التراث اليهودي، الذي استقرّت لديه فكرة الشعوب المحاربة الشيطانية التي تسكن الغيم والظلمة، وقد تحالفت مع الحية والشيطان ضد يهوه"(٢).

"فهذا التقسيم للعالم إلى خير وشر، مستمد في الأساس من معتقدات دينية يؤمن بها البروتستانت، حيث يعتقدون انطلاقاً من إيمانهم بكل ما ورد في التوراة وسفر الرؤيا أن هناك قوة شريرة يسمونها (أبناء الظلام)، ستُقدِم يوماً على حرب ضد قوى الخير، ممثلةً في إسرائيل وأشياعها من دول العالم البروتستانتي (أبناء النور)"(٣).

---

(١) المرجع السابق.

(٢)الأصولية الدينية حول العالم الأصولية الإنجيلية أنموذجا ، عبد الله أحمد لطفي الشقري (١٩٣).

(٣) الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، مرجع سابق (٢١٥).

وقد تسربت هذه العقيدة التوراتية كغيرها من العقائد إلى الذهنية الأصولية، حتى أضحت من المبادئ الراسخة في منظومتها الفكرية، وخلاصتها "أنه لابد من محاربة الشر، وجعل الخير ينتصر عليه، وأن تأخذ هذه العملية بعدها الشمولي ليتطهر المجتمع بكامله من كل شر كامن فيه، لأجل خلاصه ووضعه على طريق الفضيلة والصواب، وعندما تغدو القارة بلا شوائب ولا شرور، لابد من إيجاد قارة أخرى والمضي إلى حدود جديدة، ونقل كلام الله وتمدين الآخرين"(١).

وعلى الدوام كانت الأصولية النصرانية وهي وريثة الإرث التوراتي لبني إسرائيل مسكونة بهذا الهاجس الرسالي ، وبهذا النفَس التديّني الذي يتقمص دور الخير المطلق في مواجهة الشر المطلق، حتى أصبحت قناعة سائدة في المجتمع الأمريكي وخصوصاً على مستوى رؤسائه وصناع القرار فيه، فالدولة الجديدة التي كُلّفت بهذه المهمة –في اعتقادهم– هي من اختيار الرب، والشعب الجديد هو شعب الله، وقد اختاره بعناية فائقة ضمن خطة إلهية مدبّرة للكون(٢).

وهكذا فقد "استقر في العقل أمريكي الرسمي والشعبي، أن أمريكا أمة مميزة بالرسالة التي رآها الله جديرةً بها، مما يجعل منها أمة فريدةً في التاريخ"(٣).

ووفقاً للإيمان الأصولي النصراني البروتستانتي الذي يعتمد على نصوص العهد القديم، فإن هذا الصراع بين الخير والشر سيستمر إلى المعركة الكبرى

(١) الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، عبدالقادر فهمي (٣٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣٧).

(٣)الفكر السياسي والإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية: دراسة في الأفكار والعقائد البناء الإمبراطوري، عبد القادر محمد فهمي ، مرجع سابق (٧٩).

(هرمجدون)، وفيها يأتي المسيح ثانية، وينتصر الخير وينكسر الشر، ويقيم مملكة الألفية السعيدة التي تخلو من الشر[١].

لهذا نجد السيولة في اسقاطات هذا الوصف على الأعداء باختلاف الأزمنة والأحداث، ونلحظ توظيفه السياسي الواضح في الآونة الأخيرة على يد ممثل الأصولية النصرانية بذراعها السياسي وهو حزب المحافظين الجدد.

فقد كان الرئيس الأمريكي (رونالد ريغان) من أوائل من استخدم تعبير (امبراطورية الشر) بصورة علنية فجّة، وكان –من منطلقات دينية توراتية– يقصد بها الاتحاد السوفياتي، إذ أن اعتقاده الديني وفقاً لرؤى العهد القديم وسفر الرؤيا تذكر أن روسيا ستهاجم إسرائيل في معركة هرمجدون، ثم تبعه بعد ذلك كثير من الساسة الأمريكيين، حتى كان آخرهم الرئيس (جورج بوش الابن) الذي بدوره كرّس هذا المفهوم، وأضفى عليه بُعداً عالمياً بعد أحداث ١١سبتمبر[٢].

إن من الملاحظ أن مبدأ الخير والشر بالطريقة الأمريكية ذو شكل متغيّر، فهو يتمثّل حيناً بليبيا وإيران، وحيناً بسوريا، وفي سنة ١٩٩٠م كان العراق، ثم بمقتضى الظروف صار الصومال، ثم حماس، ثم كوريا وإيران[٣]، وهكذا أصبح المبدأ أشبه ما يكون بالفزاعة السياسية، يرتبط بالعاطفة الدينية المتقدة، ويُلجأ إليه في حال الرغبة في تجييش المشاعر ضد من يقف دون المصالح الإمبريالية التوسعية أو غايات ومرامي الصهيونية العالمية.

(١)جذور الانحياز دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية د يوسف الحسن (١٥).

(٢) انظر: الأصولية المسيحية، مرجع سابق (٢١٤)

(٣) انظر: المرجع السابق (٢١٥).

الخاتمة:

انطلاقًا مما سبق من تحليلٍ واستقراء، تجلت أمامي مجموعة من النتائج التى يمكن إجمالها قيما يأتى:

١- مثّلت إعادة تفسير العهد القديم وفق المنهجية الحرفية تحولاً فكرياً حاسماً في مسار العقيدة النصرانية، وأحدثت قطيعة واضحة مع المفاهيم الكاثوليكية التقليدية، خاصة في ما يتعلق بالنصوص النبوئية ودلالاتها.

٢- أسهمت حركة الإصلاح البروتستانتي في إعادة الاعتبار للعهد القديم، ومنحته قدسية عالية جعلته المصدر الرئيسي للعقائد والسلوكيات الأخلاقية والسياسية في الفكر الأصولي النصراني.

٣- أدى التفسير الحرفي للنصوص الدينية إلى تثبيت فكرة «الشعب المختار» وتبرير ممارسات الاحتلال والتمييز العرقي ضد الشعوب الأخرى، خاصة الفلسطينيين، باعتبار ذلك امتثالاً لإرادة الرب وفق فهمهم للنصوص.

٤- غيّرت الأصولية النصرانية مواقف الفكر المسيحي الغربي من اليهود تغييرات جذرية، حيث انتقل اليهود من موضع الاتهام التاريخي بصلب المسيح إلى موضع «شعب الله المختار» الذي يحمل دوراً مركزياً في مخطط الخلاص وأحداث نهاية الزمان.

٥- عملت الأصولية النصرانية، عبر وسائل الإعلام والتعليم، على تشكيل وعي ديني مشبع بثقافة العهد القديم، أسهم في إضفاء شرعية دينية على المشروع الصهيوني، وربط قيام دولة إسرائيل وتوسعها الجغرافي بتحقيق النبوءات التوراتية.

٦- رسّخت الأصولية النصرانية في الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة، مفهوم ارتباط العقيدة الدينية بالواقع السياسي والعسكري، إذ اعتُبر دعم إسرائيل واجباً دينياً وليس خياراً سياسياً.

٧- اعتمد القادة الصهاينة في خطابهم السياسي والتعبوي على استحضار نصوص العهد القديم لتبرير سياسات الاحتلال والتوسع، مما عزز التحالف الاستراتيجي بينهم وبين الأصوليين النصارى في الغرب.

٨- برزت الأصولية النصرانية الصهيونية، بالاستناد إلى نصوص الكتاب المقدس، سياسات الاستيطان والتهجير ورفض التسويات، معتبرة أن أي اتفاقات سياسية تخالف وعود الكتاب المقدس باطلة شرعاً وغير ملزمة.

٩- أسهم الفكر الأصولي البروتستانتي في إضفاء مشروعية دينية على الأحداث السياسية الكبرى التي شهدتها فلسطين والمنطقة، بدءاً من وعد بلفور وحتى قيام إسرائيل واحتلال القدس عام ١٩٦٧م.

١٠-أسهم الاعتقاد بنبوءات العهد القديم وتأويلها الحرفي في تعزيز الثقافة الألفية، وربطها بعودة المسيح وإقامة مملكة الرب على الأرض، مما دفع الأوساط الأصولية إلى تبني مواقف داعمة لإسرائيل باعتبارها مركز هذا المشروع الإلهي في نظرهم.

١١-أدى تفسير العهد القديم تفسيرًا حرفيًا إلى تحولات جوهرية في الفكر النصراني الأصولي، وتغلغل واضح للتراث اليهودي داخل البنية العقائدية البروتستانتية، خاصة في نظرتها لشعب إسرائيل وأرض فلسطين.

١٢-أسهم التفسير الحرفي للنصوص التوراتية في تثبيت عقيدة "الشعب المختار" وأعطى بعدًا دينيًا لتبرير الاستيطان والاحتلال الإسرائيلي، معتبراً تلك الأفعال امتثالاً لإرادة الرب كما وردت في الكتاب المقدس.

١٣-تحول العهد القديم بعد حركة الإصلاح البروتستانتي إلى مرجعية أساسية للتصورات الدينية والسياسية، وأصبح يشكل وعياً جديداً يؤمن بأن تأسيس دولة إسرائيل واحتلال القدس هو تحقيق حرفي لنبوءات توراتية سابقة.

١٤-أظهرت المواقف السياسية لزعماء أمريكا، مثل كارتر وريغان، تأثرهم العميق بالعقيدة الأصولية وبنبوءات العهد القديم، مما جعل دعم إسرائيل مسألة عقائدية لا مجرد خيار سياسي.

١٥-لعب الإعلام الأصولي دوراً كبيراً في تطبيع الخطاب التوراتي عبر تعبيرات دينية تشرعن الاحتلال وتبرر العدوان باسم النبوءات وتحقيق خطة الرب المزعومة.

١٦-ارتبطت عقيدة المجيء الثاني للمسيح ارتباطًا وثيقًا بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة كيانهم السياسي، باعتباره خطوة أساسية لتحقيق نهاية العالم وقيام المملكة الألفية حسب تصورات الفكر الأصولي النصراني.

١٧-شكّلت النصوص التوراتية مرجعية رئيسة في السياسات الغربية، وامتدت لتكون حاضرة في خطابات السياسيين، وقرارات الكونغرس، وتحالفات الدول الغربية مع الكيان الصهيوني.

١٨-شكلت العداوة بين اليهود والنصارى محوراً رئيساً للعلاقات المتوترة بين الطرفين عبر التاريخ، خاصة في المراحل المبكرة للمسيحية، حيث اتُهم اليهود ليس فقط بقتل المسيح بل باضطهاد حواريه وأتباعه.

١٩-كرست الكنيسة بسبب قرون طويلة مفهوم عقدي خاطيء، تبدو اليهودية وكأنها ملعونة ومحرمة من رحمة الله، بسبب ما نعتبره فعلا من جريمة دينية تمثلت في المسيح الصلب، وهو ما ساعد في تأصيل اجتماع ثقافي واجتماعي داخل المجتمعات الأوروبية على امتداد التاريخ.

٢٠-أسهمت الحروب الصليبية في تصعيد مشاعر الكراهية تجاه اليهود، حيث تعرضوا خلالها لمذابح واضطهادات شديدة، فُسرت في الذهنية النصرانية على أنها عقوبة إلهية لجرائمهم الدينية.

٢١–أدت حركة الإصلاح البروتستانتي إلى انقلاب كبير في الموقف العقدي من اليهود، حيث أُعيد الاعتبار لهم بوصفهم "شعب الله المختار"، وتمت إعادة دمج تراثهم الديني وخاصة العهد القديم في صلب العقيدة النصرانية الجديدة.

٢٢–أدت القراءة الحرفية للنصوص التوراتية بعد الإصلاح إلى تحويل اليهود من "قتلة المسيح" إلى شركاء في المخطط الإلهي لنهاية العالم، مما أسس لولاء ديني وأخلاقي جديد تجاههم.

٢٣–أصبح العهد القديم محورياً في العقيدة البروتستانتية، مما عزز من قدسية اليهود وتصويرهم كشعب مختار، وغيّر صورتهم في المرآة الغربية من سلبية إلى إيجابية.

٢٤–تشكل الوعي الديني والأخلاقي في الثقافة البروتستانتية على أساس التماهي مع الشعب اليهودي التوراتي، وتم تبني رموزه ولغته وقصصه كأساس للهوية الأمريكية.

التوصيات:

انطلاقًا من نتائج هذه الدراسة، يمكن التوصية بإجراء دراسات مستقبلية تتجه نحو:

- أثر التفسير الحرفي للعهد القديم في تشكيل العقيدة الأصولية البروتستانتية.
- من الاتهام إلى الاصطفاء: تحولات صورة اليهود في اللاهوت النصراني بعد الإصلاح البروتستانتي.
- العهد القديم بين الكاثوليكية والبروتستانتية: دراسة مقارنة في المرجعية والتأويل.
- دمج التراث اليهودي في العقيدة البروتستانتية: قراءة في التحولات اللاهوتية ما بعد الإصلاح.
- التحالف الديني–السياسي بين الأصولية النصرانية والصهيونية: الأسس العقدية والمظاهر التطبيقية.
- تقديس العهد القديم في الوعي الأمريكي: من الكتاب المقدس إلى السياسة العامة.
- "الصلب، العقوبة، والمصالحة" تطور النظرة المسيحية لليهود من العصور الوسطى إلى العصر الحديث.